أوچينا

صاحبة السمو

ل مارلين عماد

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : أوچينا صاحبة السمو

المؤلف : مارلين عماد

تدقيق لغوي : احمد عبدالله

تصميم الغلاف : محمد دربالة

رقم ايداع: 2019 / 27149

ترقيم دولي: 978-977-85633-0-6

دار مسار للنشر و التوزيع

01020439639

massar.pub1@gmail.com

ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

مارلين عماد

أوچينا

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

لا تنظري لعيني فأذوبَ فيكِ تائهاً
لا تسكني وطني فأطوفَ قلبك حائراً
عانقيني و تناسي في عناقي كل جاهٍ
احفري اسمك في قلبي كأنه مفتاح الحياة

صباحُ يومٍ جديد، يومُ الخلاص، فاليوم تمت عامها العشرين.
كم أنتظرتَ هذا اليوم!، منذ أربعةَ أعوامٍ وهى تُناضلُ من أجل الحصول عليه.
أبتسمت براحةٍ حين شعرت أشعة الشمس تداعب عينيها. واستيقظت على صوت حارسٍ يقفُ خارجاً بأمرٍ من الملك ليسألها أن تخبره إن كانت تحتاج لشئٍ.
طلبت فقط أن تتزين؛ تعجب من مطلبها، ولكنه لباهُ؛
أرسلَ وصيفاتٍ لمساعدتها.
كان ذهنها صافي؛ لا تفكرُ فى شئٍ؛ أربعةَ أعوامٍ من الإرهاق العقلى دون جدوى، واليومُ هو اليومُ الحاسم، فعليها ألا تعول همه.
أرتدتَ فُستانها الإرجوانى؛ أرتدتَ حُلتها؛ تعطرت بعطرها الفاخر الذى صنعته بنفسها، قامت بعصرِ الزهور لتحصل على زيتها العطرى.
تأملت فى القارورة التى فى يدها، هل يجب أن تعصرنا الحياة لننضج أفضل ما فينا؟، هل يجبُ أن يموتَ الكُلُّ كالزهور لإبقاء البعض كقطرات العطر؟.
لماذا لا تتركنا الحياةُ بطبيعتنا كما خلقنا الله؟، هل لأننا أفسدنا

خليقته، فيجب أن نفسدَ أيضاً؟!، لا داعٍ للتفكير، لقد عاهدتي عقلك ألا تشغليه اليوم.
انتهت من زينتها، وغطت وجهها، وصاحت قائلةً للحارس المنتظر خارجاً: أنا جاهزة.
فتحَ الباب ونظرَ إليها، ثم أمرها أن تضمَ يدها ليُكبلها،
أعتادت يدها السلاسل، حتى أنها حفرت مكانها كالوشم،
أبتسمت بسخريةٍ لحمقه، فهى من تنتظرُ هذا اليوم، ولا تريدُ أبداً أن تهرب، وكيف الهربُ من المصير؟، فحتى إن هربنا منه سيهرب إلينا.
نظرت إلى الغرفة نظرةً أخيرةً لتودعها، فقد أواتها جُدرانها أربعُ سنواتٍ، حينما لم تجد من يحتويها.
خرجتَ من القصر لتجد الجميع بإنتظارها.
رفضتَ أن يجرها الحارس أثناء السير، وخطت بكبرياءٍ مرفوعةَ الرأسِ، حتى وأن كان وجهها مغطى، ولكن؛ شعر الجميعُ بشموخِها.

ذوقفت فى الساحة تنظر القادمين، الذين خصصوا وقتهم لهذه المناسبة.

أبتسمت بألمٍ حينما رأت زوجة أبيها أيزابيل فى أحضان الملك؛ ولما لا؛ فهى صاحبةُ الفضلِ في جلوس ألبرت على عرش أبيها هيكتور بعدما قتلته.

كانت أيزابيل جميلةٌ بقدر شرها،

رقيقةٌ بقدر دهاءُها،

كالحيةِ تزوجت هيكتور، وسمته بعشقها حتى انتهت منه أخيراً، وتزوجت ألبرت، -عشيقُها الحقيقى-

عشرةُ أعوامٍ من الإخلاصِ الواهم، لتجعله يثق فيها حتى يتجرع الموت بيدها.

عشرةُ أعوامٍ من العطف الأموى الحاقد الذى حُرمت منه بعد وفاة والدتُها لتجده فى أيزابيل.

عشرةُ أعوامٍ من الحب المسموم.

رفعت عينيها لتطلع فيها، هل حقاً أحبتها كما ظنت؟.

فكيف كانت تجلس جوارها فى كل ليلةٍ على الفراش تقص عليها حكايات الأمير حتى تنام.

كيف كانت تسهر جوارها لتداويها فى مرضها؟.
كيف كانتا تمرحان معاً باللعب فى حديقة القصر، وكانت تسندها عندما تسقط؟.
واليوم تقف أمامها تنتظر سقوطها!؟
هل كان حبها لها، وعشقها لأبيها مجرد خطةٌ لتحرق المملكة، ويجلس ألبرت علي عرش المملكة؟.
ألبرت: الذي جعل منها فراشةً رقيقةً فى سماء العاشقين، حينما خطبها؛ شعرت بأنها تملِكُ العالم حينما ملكت خاتمه،
أقشعر جسدها حقا حينما قبلها خلسة،
أكل هذا كان مجرد خدعةٍ للإيقاع بها.
كيف لقلوبٍ تدعوا الشوق ضلالاً من أجل أغراضهم الدنيئة؟.
ماتَ أبيها بلعنةِ عشقه لأيزابيل، وستموت هى الأن بلعنةِ ثقتها فى ألبرت.
خيم الصمتُ على الجميع، وكأنه مشهدٌ صامتٌ، إلى أن شقه صوتُ صراخ طفلةٍ على صدر أبيها لا تتجاوز الثانية من عمرها.
رفعتَ أليانا وشاح وجهها ونظرت للطفلة وأبتسمت فى حنان، فدائماً قلوبُ الأطفال هى الأصدق.
أشار ألبرت إلي تنفيذ الحكم، فهو أيضاً أنتظرهذه اللحظة منذ أربعةَ سنوات، حينما أعتلى العرش وقانون البلاد يحرم أعدام من دون العشرين.

رحل جميع الناجين من الحريق إلاها.
فضلتَ أن تموت ولا تهرب، فحُبست فى غرفتها إلى اليوم،
فوقف الجندى وأستل سيفه ونفذ الحكم.
سقطت أليانا في تشامخ نجمةٍ أو شمسٌ غاربةٌ .
أحتضنت إيزابيل ألبرت فقبلها أحتفالاً بالنصر،
وأحرقوا جثتها كباقى الجثث في المدينة، لتتساوى بالتراب حتى لا تعود لها الحياة من جديد.

****

مرت السنوات وخاضت المملكةُ حروبٌ عدة، ولكنها ظلت قويةً بجيشها، وتسلط حكم ألبرت وإيزابيل، فأمسكوا بزمام الأمور بشدة، حتى تصير المملكة أهم من حولها.

عمل الشعب فى الزراعة وجميع الصناعات، لتعتمد المملكة على ذاتها فى كل مواردها، وتناسى الجميع قضية الدم التى بنيت عليها المملكة.

تحتفل المملكة اليوم بعيد مولد ولى العهد العشرين، فزُينت الشوارع بالأعلام التى تحمل أسمه، وفرشت الطرقات بالزهور الملونة، وعازفى الموسيقى منتشرون فى الساحاتِ لتأديةِ عملهم بنشر البهجةِ فى قلوب الشعب.

الشعب كله مدعو اليوم، فاليوم سيتوج -ريمون- بتاجه الملكى وسيجلس على عرش أبيه.

صنع تاجه بعنايةٍ، وزُين بأفخرِ الأحجار اللأمعة، ليكون أغلى وأفخر تاجٍ صُنِعَ للوقت الحالى.

أمتلأ القصر بالراقصات والجوارى والخدم لتجهيز المكان للمناسبة, أزدحمت الموائد بأنواع الطعام والفاكهة، وأمتلأت الجعات بالخمور.

غابت الشمس؛ وطل القمر، فتوافد الجميع إلى القصر لبدأ الإحتفال، كان الجميع سعداء بعد إعلان راحة للشعب لمدةِ أسبوعٍ من أعمالهم، بمناسبة تتويج ولى العهد وعلى الجميع الإحتفال.

كان الحفلُ صاخباً، والقصرُ ممتلئٌ بضيوف الشرف والملوك المجاورين.

أطلت إيزابيل بفُستانها القُرمزى المكشوفِ قليلاً من الصدر، وطويلٌ واسعٌ من الأسفل، وترتدى حُلتها الملكية وتاجها.

سارت بجوار زوجها ألبرت ممسكةً بيده، فصفق الجميع وهتف بأسمائهم.

سار ريمون خلفهم بزيه الملكى الأبيض المزين بالذهب، فأنحنى الشعب أمامه أعلاناً لخضوعهم لحكمه،

أنطلقت الأضواء فى السماء تعلنُ عن بدأ الإحتفال.

بدأت الموسيقى، وتمايلت الراقصات فى إغراء،

وتمايلت أيضاً قلوبُ الفتيات مع كل خطوةٍ خطاها ريمون،

ذلك الفتى الذى أصبحَ ملكاً بعينيه الزرقاء؛ وشعره البُنى الناعم؛ وبشرته المضيئةُ؛ وجسده الرياضى الطويل، الذى يجعل كل من تراه تتمنى أن تُدفن فى أحضانه.

لم يهتم ريمون بالحفل، ولا بتتويجه؛ فهذه الحياة لا تشبهه،

لم يتمنى يوماً أن يصبحَ ملكاً، ولكنه أمرٌ فُرضَ عليه،

كان يعشق الحياة العادية، التى طالما أتمنى أن يحياها،
أراد أن يخلع حُلته ويرتدى لباس البسطاء، لم يتحمل ثقل التاج فوق رأسه.
شعر وكأنه مُكبلٌ فى العرش.
زفر من المشاعر الزائفة، التى أحاطته، فهناك من يراه لأول مرةٍ، ويُحييه بحماسٍو فقط لأنه أصبح ملكاً.
ودَ ريمون لو أن لديه صديقٌ واحدٌ فقط يشعره بطعمِ الفرحةِ، أو ليسهروا سوياً للأحتفال.
ولكن قوانين إيزابيل الصارمة، تُحرمه من وجود أى شخصٍ فى حياته حتى لا تضيع هيبته.
نظر بلا مبالاه إلى أمه وأبيه وهم يستقبلون المهنئين وينظمون جلوسهم.
تطلع إلى الفتيات الواقفات قرب عرشه، ولم يرى منهن من تلفته.
فعاد يزفر من جديد.
ثم وقف ليُحي الشعب بعد إنتهاء المراسم، وكان عليه أن يقول شيئاً كخطبةٍ بمناسبةِ تتويجه، ولكنه يعلم جيداً، أن لا أحدَ يريد أن يتوقف الرقص والغناء، وأستيحاء المشروب لأجل أمرٍ سخيفٍ كخطبته.
سار بين الجموعِ ساعياً للوصول إلى الشرفة ليشتم رائحةً أخرى غير رائحةَ النفاق.

تبعه الجنود المعينين لحراسته، ووقفوا خلف باب الشرفة ليمنعوا أحداً من الوصول إليه.

خلع تاجه، وأسنده على سور الشرفةِ وتحرر من حُلته، تنفسَ بعمقٍ، رفع عينيه ليرى البدرَ المطلَ من سفحِ الجبلِ الصغيرِ المقابلِ للقصرِ، وأبتسم براحةٍ، فطالما كان القمر أنيسه ورفيقه وصاحب أسراره، أنتبه إلى صوت خطواتٍ أُنثويةٍ أتيةٍ من الخلف، فأعتدلَ فى وقفته، علم أنها -ميكال-.

وحدها ميكال المسموح لها بأن تقتحمه أينما كان، فهى رفيقةُ طفولته قبل أن ترحل مع والديها للتجارة، ثم عادوا من ثلاثةِ أعوام، بعد أن أكتفى أبيها من السعى وراء المال، فلديه الأن تلالٌ من الذهب.

ألتفت إليها ليراها كالملاك، كمعنى اسمها بفُستانها الأبيض المنفوش، وشعرها البُنى القصير، وعيناها الخضراء،

إنحنت أمامه لتُحيِه، فمد يده ليستعد لها.

ريمون: إيه اللى بتعمليه دا.

ابتسمت ميكال: بقدملِك التحية يا مولاى.

ريمون: متعمليش كده تانى، واسمى ريمون زى ما أنا.

ميكال: بس أنت دلوقتى بقيت الملك، مش ممكن أناديك باسمك,

ريمون: دى مجرد وظيفة مش لقب؛ والتاج مغيرش فيَ حاجة.

نظر إلى التاج المسندُ بجواره، مجرد شوية حجارة.

ميكال بإندهاش: معقول مش مبسوط ؟.
أبتسمَ بسخريةٍ: وتفتكرى دى حاجه تفرح!.
ميكال: طبعاً مش بقيت ملك.
ريمون: السعادة مش أنى أكون ملك؛ السعاده أنى أعيش ملك؛ أعمل اللى أنا عايزه من غير قيود.
عارفه؛ أبسط واحد هنا هو الملك اللى مبيفكرش فى هم بكرة، اللى بينام أول ما يدخل على سريره، الملك اللى بجد هو اللى عايش اللى أختاره، وأختار اللى يعيشه.
ميكال: يعنى مكنش نفسك تبقى الملك؟.
ريمون: عارفة نفسى فى إيه؟، نفسى أسيب كل دا وأهرب، أهرب للحياة اللى مش عارف أختارها.
ميكال: الحياة دى غريبة أوى، فى الوقت اللى كل الناس بتحسدك على اللى أنت فيه، أنت بتحسد غيرك على أبسط ما فيه.
ريمون: الحياة هى اللى صادمة، بخيله، مبتديش حد اللى هو عايزه، ولا بتوزع الأدوار بحرفة أو منطق، سايبانا للمفاجأت.
ميكال: كلامك مفيهوش روح، وكأن النهارده أتحكم عليك، مش أنك أنت اللى بقيت بتحكم.
نظر إلى التاج والحُلة بدون إهتمام: ماهو دا يعتبر حكم بالموت.
ثُمَّ صمت وفكر فى كَمْ المعارك التى خاضتها البلاد للحفاظ على مكانتها وهيبتها، فى كَمْ الدماءِ التى سُفِكَت للحفاظ على مملكةٍ

بالنسبةِ له لا يراها سوى مجرد تراب.
لفتَ انتباهه خيالٌ على سفحَ الجبلَ أمامه، خيالُ أحدٍ يتحركُ بوضوحٍ يكشفه ظِلُ القمر . . .
ظلَ يفكر ماذا يمكن أن يكونَ ذلك الخيال، ولكنه لم يجد أجابة.
ظل الخيال يتحركُ بسرعةٍ، فكر ريمون، قد يكون أحدُ الجواسيسِ يتطلعُ على أحوال المملكة، أم أنه جندىٌ مرسلٌ يتأهبُ بجيشهِ للحرب فى ظل أنشغال المملكةِ بالإحتفال.
تحركَ مُسرعاً خارج القصر فى ظلِ دهشةِ الجميع وغضبِ أبيه وأمه، إلا أنه لا يبررُ لأحدٍ فعله، ركب جواده وانطلق مُسرعاً نحو الجبل، ليجد لا شئ، ليس هناك أحدٌ، هل هو فقط من تخيل ذلك؟، أم هرب من كان هناك،
لا يعلم.
ظل يجول مُلتفتاً حول الجبل، ولكنه لا يرى أحد،
فعاد إلى القصر.
وبخته إيزابيل على خروجه من القصرِ بهذا الشكل دون حتي أن يرتدى تاجه.
أما هو فظل صامتاً مُنشغلاً بالتفكير فى ذلِك الخيال الهارب.

****

دخلَ إلى جناحه الملكى، ليجد جاريةً فى أنتظاره، ترتدى ملابس شفافة، مكشوفة الصدر، شعرها الأحمر مُنسدلٌ خلف ظهرها، تجلس على فراشه بطريقةٍ مثيرةٍ، لتكشف عن مفاتنها.
نظر إليها بإشمئزازٍ: هل هذه هي الرجولةَ فى نظرهم؟.
سخرَ من تفكيرهم، هل هذه أولى مهامه الملكية؟.
هل يجب عليه اليومَ أن يتخلى عن عُذريةِ قلبه مثلما تخلى مُرغماً عن عُذريةِ أحلامه؟.
شرد فى برائتها المغتصبة، فهى أيضاً ضحيةُ العوائد والقوانين الملكية.
تخيلها كيف كانت فى أولِ ليلةٍ من عملها،
تخيل خجلها وشعورها النفسى، جسدها المُرتعش،
خوفها ونبضاتها المتهدجة،
تخيلَ محاولة مقاومتها، وكيف أُهينت عندما فعلت ذلك،
كَمْ دمعةٍ شقت خدها عندما تعرت،
وكَمْ كتمت أوجاعها، فقط لتُرضى مولاها،
كم مرةٍ فعلت ما تفعله حتى غاب حياؤها، وباتت ماهرةً بهذا الحدِ من الفُجرِ،

علم أن روحها ماتت مع كُلُّ أقترابٍ غير مرغوب فيه لباطش عبث بجسدها،
قامت من مكانها حينما وجدته متجمداً، وخطت برشاقةٍ ليسمع نغمةَ خُلخالها،
أقتربت منه ليشعر بسخونةَ أنفاسها، وضعت يدها حول عنقه بأسلوبٍ مُتقنٍ لعاهرةٍ لم تجد أى رد فعل، فنظرت فى عينيه بقوةٍ، وطبعت قُبلةً قويةً على شفتيه، وأغلقت عينيها لتُعلنَ أستسلامها لحربه،
ولكنه أبعدها، وخرج من الغرفةِ، وأغلق الباب بقوة،
جلس على الأرجوحةِ القائمةِ بحديقةِ القصرِ، وأستعادَ تفاصيلَ اليوم، إلى أن غفلت عيناه وخلد الى النوم.

****

أستيقظ على همسات -ميكال- الضاحكةِ بجانبه، فأعتدلَ، لم يدرى كيف راودته غفلةُ النوم هكذا دون الشعور حتى بأطلالة الشمسَ فجراً.

ميكال: مش معنى أنك نفسك تهرب تنام كده يعنى، عارفة أنك معترض على الوضع لكن مش دى طريقة الأعتراض يعنى.

أبتسم ريمون قائلاً: لا منا مش يوم ما أهرب، ههرب من الأوضة للجنينة يعنى؛ بس كنت سهران شويه ونمت هنا من غير ما أحس.

جاءت إيزابيل مُسرعةً بغضبٍ، تجر ذيل فستانها، وسحبته من يده، وخطت به مبتعدةً عن -ميكال- حتى لا تسمع حديثهمز

إيزابيل: إيه اللى حصل أمبارح دا؟.

ريمون: محصلش حاجة.

إيزابيل: ماهو مينفعش أنه ميحصلش حاجة، أنت دلوقتى كبرت، وبقيت الملك، ولازم تحسب خطواتك كويس قبل أى تصرف، مفكرتش بعد اللى عملته أمبارح، الجارية دى تحكى عنك إيه، وسيرتك هتكون أزاى فى الحرملك.

أستنكر قائلاً: أنتِ جاية تلوميني على الصح اللى عملته فى وسط الغلط اللى أنتم عايشينه.
إيزابيل: أنت الملك ولازم . . . . .
قاطعها: لازم إيه، لازم أغلط عشان أكون شبهكم، لازم أكفر بإعتقاداتى عشان أعجبكم،
أنا مهمتى أنى أحكم بالعدل، وأنصر المظلوم، مش أنهش فى جسم بنت ملهاش أى ذنب غير أنها من بلد ضعيفة واتأسرتو أو أنها جميلة واتباعت لأحتياج أهلها،
أنتم اللى غلط، وأنا أستحالة أكون زيكم.
ردت إيزابيل بحدة: الكلام اللى بتقوله دا مش صحيح، ومينفعش هيبة الملك تتهز بتفكيره فى نصرة واحدة مجرد عملها أنها جارية.
ريمون: متحسبوهاش على حكمكم عليها، مش بعد ما حكمتم بفسادها تهينوها بحكمكم.
أنثنى ليُحيها قائلاً بعد أذنك يا مولاتى.
تحرك من أمامها سعيداً بدفاعه عن أول معتقداته ضد جبروتها.
يرى والدته تجلس خلف باب غرفتها، ويسمعُ بُكاءها المكتوم فى كل مرةٍ، غاب ألبرت عن فراشه ليعتلى جسد أخرى تتفنن فى أرضاءه سعياً لسعادته،
يراها ساهرةً فى شُرفتها، تُقنعُ نفسها بأن لا سواها فى قلبه، وأنه سيغتسلُ صباحاً، وينفض رائحةَ من كانت فى أحضانه ليلاً، ليغتمر

برائحةَ إيزابيل من جديد، فهى عشقه الأول والوحيد.
يشعر بعصبيتها الملتفه ببروده وهى تُقبله على مائدة الفطور، وتسأله كيف كانت ليلته أمس،
يجب ألبرت غامزاً: رائعة، ولكنها لا تقارن بأحضانك،
فتبتسم وتحتضته لشهادته بتفردها،
أندهشَ نفاقها، كَمْ بكت الليل تغيبه، لتغيب فى أحضانه صباحاً، كيف تقتلها الغيرة لإنغماسه فى غيرها، لتسأله عن حال أنغماسته،
تحرك الى عرشه ليجد قائد الجيش فى أنتظاره، ليسأله عن خطة حُكمه، هل ستقتصر علي الدفاع أم أنه سيسعى لتوسيع المملكة بمحاربةِ من حولهم؟.
فهناك ممالكُ ضعيفةٍ، سيتغلبوا عليها بسهولةٍ، يمكن حتى دون أن تنشئ حرباً،
فقوة مملكتهم ومواردها، أصبحت مسعى لبعض الممالك الصغيرةَ من حولهم، وسيكون شرفاً لهم لو أنضموا تحت كنف حكمهم.
صمت ريمون قليلاً، وطلب مهلة للتفكير،
أنهى مُقابلاته الترحيبية، فالأعيانُ والُتجارُ أصطفوا أمام القصر منذ الصباح لإعلان ولائهم له، ومساندته فى جميع قراراته للحفاظ على مكانةِ مملكتهم.
خرجَ ليجد -ميكال- بإنتظاره، كانت الشمس قد رحلت فودعته، وتمنت أن يختار الأفضل فى قراراته حتى لو كان قرار تتويجه لم

يكن الأختيارالأفضل بالنسبةِ له.
كانت ميكال تُسانده فى كل خطواته، فهو عِشقُها منذ الصغر،
وبعدما عادت الى المملكة، وجدت كل شئ يعيدها إليه،
فحتى عندما غيرت عنوانها، رجعت من جديد لتجد عنوانها فيه،
يجذبها إختلافه، وكأنه من كوكبٍ أخر، لا يشبه والده الأنتهزاى،
ولا والدته المتسلطةَ، ولا حتى والدها الذى لا يهتم إلا بمصلحته،
ترى طهرهُ وكأنه نبعٌ صافى فى وسطِ شلالات غادرة،
تعلم مكانتها فى قلبه كصديقةٍ غالية، كمنفث وحيدٍ لتفريغ مشاق وجدانه،
يُسعدها أن تكون جواره وكأنها سنده،
غادرت ميكال من أمامه، فذهب إلى جناحه ليغتسلَ ويُبدِلَ حُلته بثيابٍ عادية.
ثُمَّ ذهبَ للشُرفةِ ليتطلع فى النجوم والقمر،
بعد ساعةٍ من الشرود، شعر بالنُعاس، فهم لإغلاق الشُرفةو ولكنه رأى الخيال يتحرك على الجبل بنفس حركاته أمس،
لم يفهم علام تدل هذه الأشارات،
ولكنه أسرع بجواده للوصول للظل قبل أختفاؤه،
وصل إلى الجبلِ ليرى من بعيدٍ نجمةَ ليليه ساقطةً من السماء، تتراقصُ على ضوء القمر كزهرةٍ مضيئةً بطبيعتها، تلفتُ عينه برقتها كفراشةٍ زاهيةٍ، تتمايل بفُستانها الأزرقُ المُرصعُ بالحُلى

البسيط كسماءٍ مزينةٍ بالنجوم،
شعرها الذهبى يتمايلُ مع حركتها كسنابلِ قمحٍ مُزهرةً تتراقص فى الربيع،
صوتُها رائعٌ وهى تصنع موسيقاها بنفسها.
نزلَ من علي فرسه، وأقتربَ منها ليشُمَّ أختلافِ الهواءِ بقربها، كان مزيجاً من رائحةِ العُشبِ الليلة، نتيجةً لتساقط قطرات الندى، وعطرها الرائع الذى يشمُه لأولِ مرةٍ وكأنه صُنِعَ خصيصاٍ لأجلها.
أبتسمَ حين رأها ترقص بدون حذاءٍ لتتحرر من قيودها، وتُداعبَ العُشبَ بقدمها،
تُغلقُ عينيها لتنعزلَ عن الكونِ، وتصنعَ حياةٍ أخرى فى خيالها، وكأنها فوق السحاب،
أصتدمت به أثناء التفافها، ففتحت عيناها لتراه، ولكنه غرق فى عينيها الربيعيةَ المُزهرةَ بالنضرةِ الخضراء،
خجلت؛ لأنها لم تتوقع أن ترى أحداً هنا، تطلع فيها بقوةٍ، فملامحها جديدةً لم يراها من قبلُ، وكأنها ليست من فتيات المملكة، أما هى فحملت حذائها وأسرعت هاربةً،
حاول اللحاق بها، ولكن أخفاها الظلامُ عن عينه،
عاد لجناحه بالقصرِ ليتبدل نعاسه بالتفكير بها،
يغلق عيناه فيرى ملامحها، فيبتسمُ.

****

بعد مدة من تولى ريمون الحكم، بدأ يعتاد مهامه وأعماله، وأعتادَ لقاءاته مع رجال المملكة وقائد الجيوش، وبدأ بتطوير نفسه بالتطلع والقراءة، وحاول الاجتهاد لتحمل المسؤلية.
حتى شهد الجميع بعدله وحكمته،
ظل أشهر، يراقب الجبل من شُرفته، وأحياناً يذهب إلي هناك، ليرى تِلك النجمة التى لا يعرفُ من أى سماءٍ هى، وفى أى ليلٍ أختفت، ولكنها لن تأتى، فتناسها بعد مدةٍ، وأنشغل بأمورِ المملكة.
بدأت إيزابيلَ فى تحرير زمامِ الأمور من يدها، لتضعها فى يد ريمون، حتى يعلمَ الجميعُ أنه الحاكمُ بنفسه، وليس لأحدٍ تسلطٍ عليه، وخاصةً بعدما وجدته يحافظُ على نظام المملكة، ويهتم لأمورها، وأصبحَ محبوباً ومهاباً من الجميع.
أما ألبرت؛ فأنشغل فى أقتناءِ الجوارى، ليقضى لياليه فى أحضانِ أجمل نساء الكون؛ من جميع البلدان، وكأنه ثورٌ أطلق لجامه، تحركهُ غرائزه ليُطيحَ بكلِ من رأها عبثاً،
ظلت إيزابيل فى الظهورِ مُتماسكةً، وأنها لا تعبئُ لأمره، ولكنها أُنهكت داخلياً، تحاولُ ترميمِ ذاتهاو وإرجاع كرامة أُنوثتها المطعون.

****

اليوم؛ أستعدت المملكةُ لمناسبةِ اليوم،
فاليومَ هو خطبةُ -ريمون وميكال-؛ اليومَ الذى طالما أنتظرته، ودائماً ما حلمت به، فاليومَ يتحققُ الحُلم الوحيد الذى تمنته؛ -بأن تكون فتاته، ويكونَ رجلها، بأن تملك عرش قلبه- مثلما أستولى على مشاعرها منذ اللحظة الأولى فى طفولتهم،
اليوم سيُهديها خاتمه، لتُهديه روحها.
أختارت فُستانها بعنايةٍ، لتكون كالأميرة بجانبه؛ بفُستانها الذهبى المُرصعُ بالزمرد الأحمر، ذو الذيل الطويل ليغطى الأرض خلفها بعدةِ أمتار.
أهتمت الوصيفات فى تزينها، وتعطير جسدها، لتظهر فى أحسن صورها،
وأبدعت المُصففة فى تصفيف شعرها البُنى القصير، وزينته بالتاج اللؤلؤى الفخم، الذى أحضره والدها، ولكن رفضته ميكال؛ وأختارت أن ترتدى تاجها الصغير، حتى لا يقارن بفخامةِ تاج ريمون، ليظل دائماً هو محور الأهتمام، وصاحب الإطلالة الأفخر.
أخبرتها إحدى الوصيفات أن ريمون بالخارج أتى ليصطحبها للقصر، تطلعت فى المرآه مرةً أخيرةً، ثُمَّ تحركت لإستقباله،
رأها ريمون وهى تخطو الدرج، فخطفت عينيه بطلتِها، أبتسمَ

وأنحنى لتحيتها، فأبتسمتَ فى خجلٍ، وهزت رأسها،
مد يدهُ لتضع يدها فيها، وتحركا خارجاً ليركبا العربةَ الملكية التى تجرها الخيول البيضاء.
تطلعت -ميكال فى ريمون- بإعجابٍ بحُلته السوداء المطرزةُ بالذهبى ليتناسب مع فُستانها،
نظرت من شباك العربة، وكأنها ترى المملكة لأول مرةٍ، وتخطوا فى طُرقاتها توا.
أصطف الشعب على الجانبين ليُحيهما، وألقيت الزهور تحت الخيول.
كانت ميكال توزع إبتسامتها على الجميع.
رأى ريمون صِدقَ مشاعرها وهى تُحيي الشعب بعاطفةٍ وحنان، فأبتسمَ لبرأتها.
ألتفتَ إليه لتقع عيناها فى عينيه.
قطع ريمون صمته قائلاً بنبرةٍ عذبة: كأنى ألقاكِ لأول مرة.
الطفلةث الصغيرةُ، التى جاءت عندنا، ودخلت أوضتى عشان تلعب معايا وتغلبنى فى كل لعبة لعبناها.
أبتسمت ميكال قائلةً: على فكرة كنت عارفة أنك أنت اللى بتسيبنى أغلبك عشان تشوفنى وأنا فرحانة وبتنطت، وتقعد تضحك عليَ.
ريمون: فاكرة لما وقعتى ورجلك أتكسرت، لما ركبتك ورايا الحصان

عشان كنت هتموتى وتركبيه.
ميكال: فاكر ساعتها مامتك عملت معاك إيه، خليتك تجيلى كل يوم تقعد معايا من أول ما أصحى لغاية ما أنام عشان مكونش لوحدى وتعاقبك على أنك كنت السبب.
ريمون: فاكرة لما كنت بشيلك ساعتها كل يوم عشان تشوفى الشمس وهى بتمشى من الشباك، لأنه كان عالى ومكنتيش بتقدرى تشوفى وأنتى قاعدة على السرير.
ميكال: فاكر لما قعدنا نجرى لغاية ما بعدنا ومعرفناش نرجع تانى أزاى، وفضلنا قاعدين لغاية ما الحراس لقيونا،
وبعد ما روحنا خبيتنى وراك عشان محدش يزعقلى، وخدت كل التوبيخ لوحدك.
ثم ضحك على ذكرياتهما، وكأنهم كانوا أطفالَ أمسٍ.
وأبتسمت ميكال؛ لأنها كانت تراه فارسها منذ طفولتها، والأن، هو أصبح كذلك.
وصلا الى القصر، ففتح الخادم باب العربةِ، ونزل ريمون وأمسك بيد ميكال، يساندها فى النزول، ثم وقفا ليُحيا الشعب فى ظل هتافات وتصفيق الجموع.
كان الحفلُ مميزاً فأقتصر المدعون على الملوك والأمراء، والسادةُ وكبارِ رجالُ الممالك، والتجار والأعيان،
كانت الأميرات تتنافس فى طلاتهن، ولكن وحدها ميكال خطفت

الأنظار، فهى سيدة الحفل.
وقف الجميعُ فى إستقبالِ دخولهما، وتبعهما ألبرت وإيزابيل ذاتِ الفُستانِ الأخضرِ، والحُلةُ اللامعةُ، والتاج الفاخر.
بدأت الموسيقى فى إعلانِ الرقصةِ الأولى -لريمون وميكال-، فأنحنى أمامها طالباً يدها لتُرافقه الرقص، فمدت يدها ورقصت معه بخفةٍ ومهارةٍ، وخطواتس محسوبةٍ بدقة،
أنتهت الرقصةُ فصفق الحضور.
وبدأت المراسم بإحضار خاتمُ الخِطبةِ المُصممُ خصيصاً من أجل ميكال، كان الخاتم على هيئةِ زهرةٍ يتوسطها فص لؤلؤىق كبير، أما خاتم ريمون، فكان بسيطٌ كما أختاره، خالى من أى ترفٍ، فهو ما سيلازم يده دوماً.
-ألبسها خاتمه وألبسته خاتمها-،
وأستقبلا التهنئةَ.
أنشغلَ الحضورُ بالرقصِ والشرابِ،
فأمسك ريمون يد ميكال وأصطحبها للشرفةَ،
كانت المرة الأولى لتشابُكِ أيديهم، فتسارع نبضُها، وشعر بإرتجافِ كفها فى يده، فألتفتَ إليها ليرى لمعة عينيها وإبتسامتها الخجولة، فأبتسم . .
لم يشعر معها بخفق القلب ولا رعشة العشق، لم يتدفق الدمُ بقوةٍ فى شريانه عند رؤيتها، ولا ينبض قلبه باسمها،

ولكنها الراحة بالنسبةِ له، الطفلة التى تربت بين يديه لتشاركه لهوهُ وأحلامهُ، يفعلا الكوارث سوياً، ويتحمل العواقب وحده خشيةً عليها، هى الوحيدة التى تفهم ما يريد حتى فى صمته، تغرق فى بحرعينيه لتعلم أين ترسو موجاته،

سحب يده من يدها وأستندَ على سور الشرفةِ وتطلع للقمر ليخبره بأمر الخِطبة، ورفع يده ويدها ليُطلعه على الخواتم، ضحكت ميكال بصوتٍ مسموعٍ، فألتفتَ إليها مُتسألاً عن سبب ضحكتها.

فقالت برقةٍ: بضحك على بواقى الطفل اللى جواك، فيك حتى كده مهما كبرت مبتكبرش معاك.

ريمون: العجوز بقلب طفل مبيعجزش، والطفل بقلب عجوز مبيعش.

ميكال: عندك حق.

نظرَ ريمون أمامه سائلاً: مبسوطة؟.

ردت ببسمة: أسال القمر وهو يجاوبك.

ألتفتَ غامزاً: طب ما أنا بسأله أهو.

نظرت لخاتمه بيدها: عمرى ما كنت مبسوطة زى النهاردة.

أنحنى وقبل يدها فى حنان مُتمنياً أن تظل سعيدة، ويكون دائماً سبب إبتسامتها.

كانت فعلته رائعةً، فجعل عينيها تلمعُ بإبتسامةٍ،

ظلت تحلمُ بهذه اللحظه التى تجمعهم، ولكن مذاق اللحظة ألذ

مما تخيلتهُ.
دائماً ننتظر لحظةً فى حضرةِ من نحب، وفى حضرةِ اللحظةِ تذوب مرارة الأنتظار، تتبدل ملوحةِ دموعِ الفقدان بعذوبةِ ولمعةِ إبتسامةِ اللقاء، وأىُ لقاءٍ مميزٍ كهذا، يجتمعا فى حضرةِ القمر، مُنحنياً ليُقبل يدها وخاتمه يلمع فى أصبعها، وأسمه يلمع فى قلبها.
تنهدت براحةٍ، فأصبحَ هناك ما يربطهما،
قطعت إيزابيل خلوتهم لإخبارهم أن عليهم العودة لساحة الأحتفال، فعادا مُتشابكين الأيدى فى وسط النظرات الباسمةِ من بعضهم، والحاقدةُ من آخرين، فكَمْ من فتاةٍ حلمت بأن تكونَ مكان ميكال، وكَمْ عائلةٍ تمنت هذا النسب،
أما بالنسبةِ لعائلةِ ميكال وريمون فقد سعوا لهذه الخِطبةِ لإدماج السلطةِ بالمال،
لتعظم مكانةُ الأسرتين بالحكم والتجارة.
كان ريمون يعلم ذلك، ووافق على الخِطبة، لأن ميكال لا تشبههم، بل تُشبه روحه؛ تُشبه أحلامه؛ تُشببهه.
أحضر الخدم كعكةُ الأحتفال، كانت كبيرةً للغاية، مكونةً من عدةِ أدوار، وتفنن الطباخين فى زينتها لتليق بالخِطبة، وكأن وضع فيها نفوذ الأسرتين.
أبتسم بسخريةٍ فقد صنعوا مائدةً من الذهب لتحمل الكعكة، ورُصِعَت السكين المستخدمةُ فى التقطيع ببعض الأحجار،

هل أصبحنا بهذا القدر من الغباء ليجوع الشعب ويأكل السادة على موائدٍ ذهبية؟.
هل وصل البزخ حد التفنن فى زينةِ سكينٍ لمجرد أن الملك سيلمسها؟.
قبل بدأ التقطيع طلب ريمون أن يحضر الطباخ الذى أعد الكعكة.
أندهشَ الحضورُ، ولكن لبى الجنود مطلبه بإستدعاءِ الطباخ الذى جاء مُسرعاً، يعدل من هندامه وعلاماتُ القلقِ والخوف تكسو وجهه.
أنحنى الطباخ لتحيه الملك ثم أنحنى نحو الحضور، فسأله ريمون مُبتسماً: كم الوقت الذى أستغرقته فى تحضير الكعكة.
أخبره الطباخُ أنه منذ أسبوعٍ يعملُ جاهداً لتخرج الكعكةُ بهذه الصورة لتنال إعجابهم، وتكون مشرفةٌ للحفل.
سأله ريمون هل ذاقها؟.
فهز رأسه بالنفى، ولكنه اعتذر أن كان قد أرتكب خطأً فى مقاديرها.
فطلب ريمون منه أن يُمسك السكين ويقطعها ليتذوقها ويحكم بنفسه.
أعترضت إيزابيلَ أن يمس السكين، ولكن أمرُ الملك واجبُ التنفيذ، فأنصاعَ لأمرهِ وسط إندهاشِ وصمت الحاضرين، تذوقها الطباخ، وكانت مميزةً؛ لم يجد فيها أىُ عيبٍ، ولكنه أعتذر للملكِ؛ وقال

أن عليه تغيرها.
فأبتسم ريمون سائلاً: أىُ خطأ قد وجد فى طعمها حتى يُغيرها.
لم يجد الطباخ ما يقوله فقال: يكفى أنك لم تستحسنها مولاى.
فأجابَ ريمون: ليس الخطأ فى أنى لا أستحسنها،
الخطأُ فى أنك تُطهى ما لا تتذوق، تصنع لغيرك أفخر الأطعمة ولاتجد لأسرتك ما يكفيها من الطعام.
نهرتهُ إيزابيلَ؛ فقد زفرَ السادةُ والملوك الآخرين من حديثه وأعتبروا حديثه ثورة.
ولكنه لم يُعيرُ انتباهه لأحدٍ، وأمرَ الجنودَ بتقطيعِ الكعكةِ وتوزيعها، وأيضاً توزع نصف الأطعمةِ المعدة على شعب المملكة، فمطابخ السادةُ ممتلئةً بأفخر الأطعمة.
أما الطباخُ فقد أهداهُ السكين لبيعها وليستفيد بثمنها،
نظرت إليه إيزابيلَ بتوعدٍ، أما ميكال فأدهشها ما فعل، وزاد من إعجابها به.
أىُ رجلٍ هو لتتسم فيه تلك المواصفاتِ التى لن تطلبها،
جعلها تشعر بتميزها بين يديه، وكأنها سيدةُ الكونِ، لأنه أختارها لتُشاركه كونه.
انتهى الحفلُ وأوصلها بالعربةِ لقصرها.
توجهت لغرفتها ودعت أحدى وصيفاتها لتساعدها فى خلع فُستانها، ثم أغتسلت وبدلت ملابسها،

وظلت على فراشها تتطلع فى خاتمها، وتحلم ببطلها،
أما هو فعاد للقصر، وجد ألبرت وإيزابيل فى أنتظاره ليوبخاه على ما فعل،
أما هو فلم يبالى، فقد فعل الصواب.
أغتاظت إيزابيل قائلةً: أنت عارف الحاجات اللى أنت وزعتها دى بكام.
ريمون: مش مهم بكام، المهم أن الناس تكون سعيدة، حتى ولو بحاجة بسيطة.
ألبرت: مفكرتش أن اللى أنت عملته دا ممكن يكون إهانة للى كانوا موجودين.
ريمون: كلامى مفيهوش أى إهانة، هما اللى مبيفكروش غير فى نفسهم، وراحتهم وكرامتهم، مأخدتش بالك أن يوم تتويجى كانت المملكة كلها هنا، من أبسط واحد لأحسن واحد فى الشعب، عشان وقتها بس كنا محتاجين الناس تكون معانا وتدعمنا، لكن النهاردة الحفلة كانت للسادة بس
عشان خلاص مبقيناش محتاجين الشعب فى حاجة مش كدة؟
إيزابيل: خلاص ضمنا تأيدهم، وكلهم خاضعين لحكمك، وبيعملوا اللى أنت تقوله، هتحتاجهم تانى فى إيه.
ريمون: محتاج حبهم مش بس تأيدهم، محتاج رضاهم مش بس خضوعهم.

ألبرت: طب معملتش حساب غضب الملوك اللى كانوا حاضرين بعد ما أعتبروا كلامك ثورة.
ريمون: الملك اللى شعبه فى ظهره ومسانده وواقف معاه، ميخافش من غضب ملوك شعبهم ناقم عليهم وعلى طريقة حكمهم،
المملكة مش بس ملك؛ لان الملك فرد واحد مسيره يروح ويجى غيره،
المملكة شعب، حتى لو ملكهم راح هيفضلوا يفتكروه ويشهدوا بعدله وحكمته.
إيزابيل بحنق: بس أنا مش موافقاك.
ريمون: وانا بعد أذنك يا مولاتى مش مستنى موافقة حد على قراراتى.
ألبرت: خلى بالك لأنى ممكن أعزلك وأرجع لمكانتى من تانى.
ريمون: وأنا ميهمنيش العرش سموك، اللى يهمنى الناس اللى تحت العرش، هما اللى ساندينه، ومن غيرهم العرش يقع.
انهى الجدال بإبتسامةٍ وقبلَ يد والدته ووالده قائلاً: نسيتم تباركولى؛ على العموم الله يبارك فيكم،
بعد أذنكم.
خطى أمامهم بثقةٍ وأتجه لغرفته، ومدد على فراشه ليستريح، فاليوم كان شاقٌ وطويل.

****

أفاق من نومه فى منتصف الليل، فقام ليغتسل، وبدلَ ملابسه، وأتجه لشرفةِ غُرفته، ليسدل الستار حتى يكمل نومه دون أن توقظه أشعةُ الشمس صباحاً، فلمح الخيالَ يتحرك، فعلم أن الفراشةَ الهاربةَ هناك،

فذهب مُسرعاً بفرسه تجاهها،

ليجدها تتراقص بخفةٍ دون خطوات محسوبة، ترقص فقط بانطلاق الروح، تأملَ خطواتها المرحةُ المليئةُ بالنشاط النابعةُ من فُستانها الأصفرالقصير، ليكشف عن ساقيها المتلألأة، حررت شعرها من ربطته ليعبث الهواء بخصلاته،

وقف جوار حصانه يتابعها حتى رأها تسقط ضاحكةً على العُشبِ، سمعت صهيل فرسه فأعتدلت فى جلستها، ونظرت إليه فى إندهاشٍ، فتحرك ليجلس بجوارها.

حاولت الهروب كعادتها، ولكنه أمسك بيدها ليمنعها،

حاولت التحرر من قبضته، ولكنه أحكمها عليها،

تأوهت متألمةً فأرخى قبضته قليلاً.

فرفعت صوتها: ممكن تسيب أيدى.

ابتسم لدفء نبرتها قائلاً: أوعدينى متهربيش.

هزت رأسها بالموافقةِ، فترك يدها،

ونظر لها سائلاً: أنتِ مين؛ وبتعملى إيه هنا.
ردت قائلةً: زى ما أنت شايف بكون هنا عشان أقابل القمر وأرقص بين النجوم.
ريمون: أنتِ مش من المملكة مش كده؟.
هزت رأسها أيجاباً.
لا يعلم ما قاده إليها الأن، ولكنه انتظرها كثيراً، بعدما رأها المرة السابقة.
تعجبت صمته ولكنها شعرت بالراحة تجاهه.
داعب أنفه نسيم عطرها فابتسم قائلاً: أنتِ عارفة أن عطرك مميز جداً، مشمتهوش غير عليكِ، بلغى تحيتى لصانع العطور.
ابتسمت وردت تحيته: شكراً، تحيتك وصلت.
ريمون: مش فاهم.
رفعت وجهها فى تفاخرٍ: أنا اللى بعمله بنفسى.
رفع حاجبيه منكراً.
فقامت وسحبته من يده قائلةً: تعالى شوف بنفسك.
سارَ بجانبها مُصطحباً فرسه، لا يعلم إلى أين تأخذه، ولكن أعجبه اختطافها لروحه.
تأمل خطواتها؛ كغزالةٍ رشيقةٍ تسيرُ برقةٍ فوق العُشب، تبتسمُ كلما رأت فراشة، وتسرع فى خطواتها لتلحقها، بدأت أشعةُ النور تشقُ عتمةَ الفجرِ، والهواء اللطيف يُداعب فُستانها، فتضع يدها

لتمنعه من التطاير.
شقت الشمسُ ستائرَ الظلامِ لتعلن عن الأشراق،
وقد وصلا إلى بُغيتهم فى الجهة الأخرى من الجبل،
كانت المرةُ الأولى التى يذهب فيها ريمون الي هناك،
فرأى النهرث الذى يُغذى المملكةَ والممالك التى حوله،
كانت المياهُ متلألأةٌ فى إنعكاسِ أشعةِ الشمس به،
طلبت منه أن يُديرَ وجهه ليرى،
ففعل ما طلبته؛ ليجد أمامه الجنةَ،
كانت أرضُ الجبلِ مفروشةً بأنواعِ الزهور، من أعلى غلى أسفل.
وقف يتأملُ هذا المنظر.
فأشارت إلى نوع زهورٍ موجودٌ فى أعلى الجبلِ، قائلةً: دى اسمها زهرة البنفسج، ريحتها مميزة، وشكلها كمان يخطف عينك أول ما تشوفها، بحس أنها الشقية بين الزهور،
وأشارت إلى الريحان؛ واخبرته أنه النباتُ الذى يُصنعُ منه التيجان الزهرية،
وأشارت إلى زهرةٍ أخرى، ذاتُ قلبٍ أبيض، ورؤسٍ صفراء: ودى بقى زهرة الأقحوان، صافية ورقيقة عشان كده بحس إنها البنوتة الطفلة بين الزهور.
أما دى؛ وأشارت لأخرى، اسمها الجورى؛ مليانة بالعبير، وبيتعمل منها مية الورد، عشان كده بحس أنها روح الزهور.

وأشارت إلى زهر أبيض كبير قائلةً: ودى اسمها الياسمين الذ ريحة عطر ممكن تشمها، وكمان بتستخدم فى الطب لما بيتنقع، وبحس أنها الأميرة.

كان مأخوذاً بتنوع الألوان، -البنفسج، والأصفر، والأحمر، والأبيض-.

لمحت أفتتانه بشكل الزهور؛ فأضافت: وكل دا أنا اللى زرعاه، ومنهم بصنع العطور،

كل الزهور دى بتتعصر عشان تطلع الزيت بتاعها، وممكن أضيف أنواع زيوت مع بعض عشان تكون ريحتها أفضل،

أما بقى -عطرى- فبعمله من الزهرة دى، وأشارت إلى زهرة مزروعة على ضفاف النهر، ذاتِ ساقٍ طويل، وزهور صفراء قائلةً: دى بقى زهرة السوسن، متشبهاش حاجة أبداً من الزهور، ليها ريحتها الخاصة اللى لا يمكن تضاف على أى حاجة، ولا ينفع يختلط زيتها بزيت ثانى، ولغاية دلوقتى معرفتش اسميها زى باقى الزهور.

نظر إليها بفستانها الأصفر، وساقيها المتلألأة، وشعرها الذهبى المتحرر خلف ظهرها،

ثم ألتفت للسوسنة بزهرها الأصفر، وساقها الطويل، وروحها المتحررة،

وقال: تسمحيلى أسميها بالنيابة عنك.

هزت رأسها إيجاباً.

فقطف ريمون إحدى أزهارها ووضعها فى شعرها قائلا: تحسى إنها الملكة، فريدة فى كل حاجة، حتى فى مكانها على ضفاف النهر، عشان تأخد من روحه الشفافة، وتعكس لونها فيه،

مبهجةٌ بلونها الأصفر، وعندها كبرياء بفرعها الطويل، عشان كده هسميها -صاحبة السمو-؛ زيك تمام

عاد الى قصره بعد أن ودعها، وشكرها لأنها أصطحبته إلى جنتها، شعرمعها بالبساطة، والتى طالما تمناها،

قضى ليلةً خياليةً بصحبتها،

كجنيةٍ خطفته من غفلته لتغوص به فى أعماق الجنة التى صنعتها بنفسها،

صانعة العطور، جعلت من عطرها تميزاٍ يتخلله كلما وضع يده على أنفه ليشتمها،

تذكرأنه لم يسألها عن اسمها، ولم يخبرها باسمه،

تناسى فى حضرتها أنه صاحب الجلالة، واطلق عليها صاحبة السمو، وصنع تاجها من الريحان والسوسن.

****

أفاق من شروده عندما أخبره أحدُ الحراس أن قائد الجيوش ينتظر خارجاً، ويريد مقابلته، فسمح له بالدخول.
رفع القائد خوذته وأنحنى تحيةً للملك،
ثم أخبره أستياءِ بعضُ الأمراء مما فعل أمس، ولكنه طمأنه أن الجيش على أتم أستعدادٍ للدفاعِ والهجومِ إن لزمَ الأمر،
وأخبره قائدُ الجيشِ أيضاً أن الفرصةَ مناسبة الأن لوضع بعض الممالك الصغيرة المجاورة تحت كنف حكمهم، وخاصةً بعدما أثبتَ بالأمسِ أن مصلحة الشعب فوق الجميع،
وأن الطاهى بالنسبةِ إليه له كرامةً كالملوك والأمراءِ،
فكر فى الأمرِ، وقرر أنه سيبدأُ قريباً فى زيارة لبعض الممالك ناحيةَ الجنوب لعرض الأمر على حاكمهم.
تحرك القائد من أمامه ليسمع ريمون صوت ضجيجٍ بالخارج.
فتحركَ ليرى ماذا يحدث.
ليجدَ أن صانع الكعك ومعه أُسرته قد جاءوا ليشكروه، ولكن الحراس منعوا دخولهم.
ابتسم ريمون، وسمح لهم بالدخول.
لاحظ أنبهارهم بالمكان، فعُيونهم تجولت فى الجدارن بلمعةٍ،
لم يعتلى ريمون عرشه، بل فضل الجلوس معهم على أحد الموائدو

وأمر الخدم بإحضار الطعام.
رفض الطباخ خجلاً ولكنه خضع لأمرِ الملك.
جلس ريمون يتأملُ ابتسامتهم الصافيةُ الخاليةُ من أى غشٍ أو زيفٍ.
تطلع لزوجةِ الرجل بفستانها باهت الألوان، ولكنه نظيفٌ ومتناسق، لم يكن شعرها مثالىٌ، ولكنه مهندمٌ، إشراقةُ ابتسامتها أعطت لوجهها جمالاً فوق جمالها،
أما ابنتاه فكانتا جميلتان كأمهما، تتراوحُ أعمارهن بين السابعةِ والعاشرة، فساتينهن خليطٌ من الألوان، بين الوردى والأحمر والاصفر والبرتقالى، لتعبرعن ربيعِ طفولتهن،
شرع فى الطعام ليبدأوا وجبتهم، ثم نظرَ ليتابعهم،
أعطت الأم طفلتيها مما قُدِمَ أمامهن، ثم بدأت تقضم مما وُضِعَ فى الطبق أمامها،
لم يتطلعَ أحدٌ لما هو موضوعٌ خارجَ إطار طبقه،
كانوا يأكلون بحياءٍ وسعادةس دون شره العظماء،
وحدها القلوب البسيطةُ هى ما تفرحُ بأقل ما يقدم لها،
وحدها الأنفس الشابعة هى التى لا تشتهى العظمة،
وحدهم فقراءُ الكبرياءُ هم أغنياءُ السعادة،
تمنى لو كان ينتمى لأسرةٍ مثل هذه، لا يشغلها المناصب ولا النفوذ،

أبٌ لا يهتمُ إلا براحة أبناءُه،
وأمٌ تحتضنُ أطفالها مع كُلِّ ابتسامة،
أنهوا طعامهم، وشكروا الملكِ على أهتمامه ومحبته وهديته لهم، وأهدته الطفلتان طبقٌ زخرف برسوماتٍ رائعةٍ، فأبدى إعجابه بذوقهن، وأخبره الطباخ أنه من صنعَ زوجته.
أنصرفوا من القصر تاركين ابتسامة رضا على شفتيه،
ليأتى أحد الخدم من قصر ميكال ليخبره أن والدها قد جهز اليوم حفلٌ على شرفِ خطبتهم، وعليه الحضور للقصر بعد الغروب.
كان بوده أن يرفض، لأنه لا يفضل صحبةَ وليم والدها، ولكنه وافق لأجلها.

****

وصل ريمون لقصر خطيبته ليجد وليم فى انتظاره.
رجلٌ خمسينى متوسط القامة، ذو بشرةٍ قمحية، يدعى الوفاء لزوجته؛ فرفض الزواج بعد وفاتها، ولكنه يُمارسُ الرزيلة وكأن ما يفعله مع الجوارى لا يخدش وفائه لزوجته،
يمتلكُ من الذهب ما يكفى لفرش طرقات المملكة، وتبقى خزائنه ممتلئة،
ورغم ذلك يشعر ريمون دائماً بنقصه، لا يرتاحُ لنظرته.
استقبله وليم بحفاوة، أما ريمون فقابله ببسمةٍ باردة،
لم يتحمل ريمون أبداً المشاعر المزيفة، ولا يقدرُ على إظهارعكس ما يحمله قلبه.
قابل ريمون التجار المدعون للحفل وسمع أرائهم لتوسيع التجارة، إلى أن أعلنت الموسيقى عن نزول ميكال، نظرَ الجميع نحو السلم الذى يتوسطُ ساحةُ القصر، لتنزل من عليه ميكال بفستانها البنفسج الرائع المطرز بالمشغولاتِ الفضية، وتركت شعرها البُنى القصير محرراً دون أن تعقده، كانت بهيةً كطلةِ شمسٍ تجبرك على الألتفات لإشراقتها،
أعتذر من الواقفين حوله، وذهب لإستقبالها.
أمسك بيدها فصفق الحضور، وهتفوا باسماهم.

تطلع ريمون فى وجهها وكأنه يراها من جديد، يراها فى كل مرةٍ وكأنها المرةُ الأولى التى يراها فيها.
ابتسم لبراءةِ ملامحها، واقتربَ منها دون أن يحسب خطواته، لتشعر بسخونةِ أنفاسه، وقبل جبينها،
شعرت بحرارةِ قبلته، فأحمرَ خديها خجلاً،
خطفت الأنظار بطلتها؛ وخطف الأنظار برجولته،
تطلع الجميعُ فى إعجابٍ، وتمنوا لهما السعادة،
ثُمَّ أصطحبها ليجلسا بعيداً عن صخبِ الحضور،
كانت ميكال مُندهشةً مما فعل، ولكنها سعيدةً بتقدم علاقتهما، شعر بخجلها، فقطع صمته قائلاً: أنتِ عارفة أنك شبه حاجة شوفتها النهاردة لأول مرة.
تطلعت لتسأله عن ماهيةِ ما تُشبهُ.
فقال: شبه زهرة البنفسج، شقيه بين الزهور، تجبر الكل إنه يبصلها؛ زيك كده، مع أختلاف إنها شقيه؛ وإنك ملاك.
نظرت إليه وكأنها ترى رجلاً لا تعرفه من قبل، فهى المرةُ الأولى التى يغازلها فيها، فقالت: لا معلش هو فين ريمون؟.
ابتسم قائلاص: ما أنا قدامك أهو، بصى كويس.
فنظرت فى عينيه لتتوها فى زُرقتها،
ظلت تُحاكى نفسها فى حضن عينيه لتتذكر كم ليلةٍ اشتاقت للحظةِ التي تجمعهما،

كم مرةٍ أرادت أن تحتضن عينيه، ولكن منعها حيائها،
كم مرةٍ أراردت أن يخطفها لقلبه، ولكنه لم يفعل.
قطع وليم خلوتهم ليصطحب ريمون ليُعرفه على أحد أهم التجار.
أعتذر ريمون من ميكال وتوجه مع والدها.
ليجد الرجل الذى أراد وليم ان يعرِفُهُ،
يجلس بتفاخرٍ وسط الرجال، وفى يده كأسٌ مملؤةٌ بالخمر،
لم يهتم بتقدم ريمون تجاهه، ولم يعتدل من جلسته،
الأمر الذى زاد من غيظ ريمون، ليس لأنه لم ينحنى كما يجب أن يفعل ويقدم تحيته للملك،
ولكن لعدم أهتمام أصحاب الأموال بكرامةِ من حولهم،
وكأن أموالهم زادت من كبريائهم، وأنقصت من رجولتهم،
رفض ريمون التقدم من مجلسه، وأخبر وليم أن من أراد مقابلة الملك عليه أحترامُ ذاته أولاً ثم أحترام الملك.
اعترض وليم مُخبراٍ إياه أنه سوف يجنى عدة مصالح بالتقرب من هذا الرجل، فهو أهمُ تاجرٍ ويمكنه أن يُنعشَ أقتصادَ المملكةِ أكثر، لو قدم ريمون بعض التنازلات.
رد ريمون بثقةٍ أنه ليس بحاجةٍ لتقديم تنازلاتٍ لأحدٍ مهما كانت مكانته، فهيبةُ الملك لا تعلوها هيبة، وسلطةُ الشعبِ لا سلطةَ تتقدمها.
أعتذر ريمون عن إكمالِ الحفل، وذهب لقصره مُسرعاٍ دون أن

يودع ميكال.
كانت ميكال تتابعه بعينها ولا تدرى ماذا يجرى،
او ماذا دار بينه وبين والدها،
ولكنها رأته يرحل، يرحل ويتركها بمفردها فى منتصف قاعة الأحتفال دون حتى أن يخبرها سبب رحيله،
قبلها عند مجيئه، وسحب قبلته برحيله خلسةً دون أن يودعها.
تعلم أنه على غير وفاقٍ مع والدها، ولكن كان عليه فقط ألا يتجاهلها،
صعدت لغرفتها فى هدوءٍ لتخزنها الدموع وتسقط على فراشها.

****

أما هو، فوصل قصره فى أستياءٍ من حياةٍ لا تشببه،
تذكر صحبته بصانعةِ العطور، كيف كانت رائعة،
كم من الوقت مر جوارها ولم يشعر به،
كم سارا سوياً ليصلا لجنتها دون أن يشعر بالأعياء،
داهمته صاحبةُ السمو بأزهارها، تمنى فقط أن يراها الأن،
فأبدل ثيابه، وتحرر من تاجه، واستقل جواده، ليصل إليها،
لم يهتم أن يرى من شرفته إن كان خيالها على الجبل أم لا،
ولكنه أرادَ أن يذهب إليها حتى لو لم تكن موجودة،
أن ينتظرها حتى وأن لم تأتى،
انطلق جواده نحو الجبل، فقد حفظ الطريق فابتسم؛ حتى حصانه وجد راحته بقربها،
وصل إلى هناك ولكنه لم يجدها، كعادتها هاربة،
فتذكر طريق جنتها نحو الجنوب، فأتجه إليها،
وصل لمقصده، فنزل من فوق ظهر الحصان، وحرره من لجامه،
ليسمع صوت صهيله يهلل بفرحٍ،
أما هو فأفترش أرضاً ليسند ظهره بين الزهور،
لم تكن هناك، ولكنه شعر بروحها، بقلبها ينبض، بين الزهور،
تطلع لزهور السوسن -صاحبة السمو- كما دعاها ليبتسم براحة،

كان النسيمُ لطيفاً يُداعبُ الزهور، فترقصُ فى خجلٍ،
وضوءُ القمرُ ينعكسُ فى النهر ليجعل ماؤه متلألأً،
أعتدل فى جلسته حينما سمع صوت مياه النهر تتحرك بقوة،
فدقق فى نظره بشدةٍ، ليجدها تخرج من النهر بفستانها الأبيض الملاصق لجسدها تأثراً بالبللِ،
ترفعُ شعرها الذهبى المتعانقُ بقطراتِ الماء لتتطاير بعض القطرات على وجهه، فيبتسم،
كعروس البحر ببشرتها اللامعة، كآيةٍ في الجمال بكل تفاصيلها،
-أبدع الخالقُ فى خلقها-
تنهد حينما رأها تبسمُ لرؤيته.
جلست بجواره لتتداعبه بنسيمها المختلط برائحةِ النهر،
ألتفتَ إليها ليجدها شفافة؛ عذبةٌ كمياهه، ملونةٌ كقوس قزحٍ زهى الألوان، شعرها أصفر كالذهب، بشرتها لامعةٌ بلمسات حمرة طبيعيه، عيناها خضراء كالربيع وسط زُرقةِ الليل،
لم يجد ما يقوله، ففى حضرتها يهرب الكلام،
سحبها من يدها، واجلسها على جواده، وجلس أمامها، لينطلق متحرراً كجواده، وهى تحتضنه وتضحك بصوت مرتفعٍ لجنونه، فذاب فى ضحكتها،
أبتلت ملابسه نتيجةً لأحتضانها إياه من الخلف، كانت تتشبث به بشدةٍ ملائمةً لسرعةِ جواده،

بدأ الهواء يشتدد، أو هكذا شعروا، لأنهم يتجهون بسرعةٍ عكس إتجاهه، كان شعرها يجرى خلفها فى تطايرٍ رائع،
شعر بها وكأنها تتخله، تدخل فى جسده لتملؤه بروحها، تتشابك أصابعها حول صدره لتمتلكه دون قصد،
شعر بقلبه يحتضن يداها،
أراد أن يحتضنها، أن يهرب بها إلى كونٍ لا يحمل سواهما، تمنى لو رأها منذ كانت طفلة، تخيل كيف كانت شقية وملفتةٌ فى أى مكان حلت به،
أوقف الحصانَ ونزل، مدت يدها ليساعدها فى النزول، ولكنه لف يده حول خصرها وحملها،
نظرت فى عينيه تحاول قرائته، فوجدت أن عيناه تتشبث بها،
توقف الزمان فى نظرتهما، أختلط الأزرق بالأخضر
كسماءِ تعانقُ شجرةٍ أو بحر، تغمره الزروع،
شعرت بيده تغمرها فى قبضته، وكأنها طفلته يخشى عليها من السقوط،
نزلت من بين ذراعيه لتفترش على الأرض، فألقى بجسده جانبها عابثاً بخصلاتها المبعثرة،
مرر يده على وجهها وكأنه ينحت ملامحها، أغمضت عينها لتشعر بطعم لمسته،
كانت لمسته لذيذة، لها مذاقُ التوت،

لن تسمح أبداً لأحدٍ أن يكون بجانبها، ولكنها شعرت به داخلها، سمحت بإقتحامه، بل فتحت قلبها لأجله على مصرعيه،
وجدته أشبه بالحلم، ووجدها الحقيقة التى طالما كان يبحث عنها،
وأخيراً وجدها بين يديه،
أطبق بشفتيه ليحتضن شفتيها، ليذوبا سوياً فى طعمٍ يختبرا مذاقه لأولِ مرةٍ،
سحبت شفتيها قبل أن يلتهمها، وتحركت من جانبه مُبتسمةً، لتذهب حيث لا يعلم،
ظلت عيناه مُتعلقةٌ بها، إلى أن غابت وبحوزتها قلبه، وجزءٌ من روحه.

****

كان النهار قد شق طريقه للظهور، فعاد لقصره، ليجد ميكال بانتظاره، وكأنها انتظرت أول شُعاعٍ للنور لتشقه وتذهب إليه،
كانت علاماتُ الغضب تكسو وجهها،
فتوجه إليها باسماً، ولكن صورة صاحبةُ السمو مازلت عالقةٌ فى عينه،
ظل طعمُ شفتاها فى حلقه، فأزداد ريقه لينعم بمذاقها،
ظلت ميكال تُعاتبه عما فعل أمس، وكيف له أن يتركها هكذا وسط الحضور ويرحل،
وكيف يرحل وقد صنعت الحفل من أجله،
لم يكن فى حالةٍ تسمح بالجدال، فأعتذر منها واعداٍ إياها بعدم تكرار ما فعله مرةً أُخرى،
وطلب أن تصاحب والديه على مائدةُ الفطور، وأعتذر منها لأنه سيذهب لغرفته لحاجته للنوم.
أندهشت حالته، كيف تبدل حاله هكذا، كان بالأمسِ لطيف، تذكرت كيف قبلَ جبينها أمام الجميع، ليتركها الان وحدها ويذهب كما تركها أمس،
فهتفت باسمه لتستوقفه، فألتف لينظر إليها.
لتسأله: أنت كنت فين؟.

صمت قليلاً لأنه لم يعتاد الكذب؛ ولو حاول ستكشفه،
ولو أجابَ بالحقيقةِ سيضع نفسه فى مأزقٍ وستأكله نارُ غيرتها،
فابسم قائلاً: كنت فى الجنة. .
ليتركها فى حيرتها ويذهب لفراشه.
ظل يتقلبُ فى فراشه مفكراً فى تلك الجنيةُ التى تخطفه من روحه كلما رأها،
تذكر أنه قضى طول الليل بجانبها دون أن تنيث شفتيهما بكلمة،
ولكنهما لم يكفا عن تخاطب الروح،
أغلق عينيه ليراها من جديد، ويستحضر صورةِ طلتها وهى تخرج من النهر، كمهرةٍ متحررةٍ بفستانها الأبيض،
ضم يديه لصدره ليستشعر قبضتها وهى تحتضنه،
بلل شفتيه بلسانه ليستطعم بقايا شفتيها المتعلقةُ بشفتيه، ليتذوق طعم قُبلتها،
كانت أشبهَ بالسحر، كترياقٍ مسكرٍ أذابته فى عشقها،
لتسكن جدارن قلبه بتفاصيلها البسيطة،
حاول أنتفاضها من عقله لينعس بعض الوقت،
ولكن ابتسامتها داهمت أحلامه كملاكٍ عُينَ لحراسته.

****

بدأ ريمون بالإنشغال بأحوالَ المملكةِ وازدهار صناعتها وتجارتها معتمداً على شعبها، دون الحاجة للأعتماد على أحدٍ من السادة أعترض ألبرت وإيزابيل على طريقته، لأنه بذلك سيخسر السادة بتوقفِ مصالحهم.

ولكنه لن يتراجع لإيمانه بما يفعل.

سعى للتقرب لملوك الممالك القريبة، لتكوين كتلة موحدةٍ سياسياً شارك بجيشه فى حروب بعض الممالك، لدعمهم ضد أى أعتداءٍ، مما قوى مكانته لدى الجميع، وأصبحت شعبيته فى تزايد، وأصبح محبوباً من الجميع،

إلى أن علم بوفاةِ أحد زعماء القبائل الذين يقطنون القرى البسيطة، المعتمدين على الزراعة فى أقتصادهم، الغير تابعة لحكم أى مملكةٍ، بل يحكمون انفسهم بانفسهم،

فأشار عليه قائد الجيوش أن يذهب لتقديم واجب العزاء، لتكون فرصةً لضمهم لحكم المملكةُ فيما بعد، ويساعد ذلك على أزدهار الإنتاج الزراعى،

وجد ريمون أنها فرصةٌ لتوسيع مملكته،

فأستعدَ بحٌلته الكُحليةَ الأنيقةَ، الغير مُتكلفة لتناسب العزاء، وارتدى تاجه،

وأمر الحراس ألا تتبعه حتى لا يساء فهمه من الشعب الذى سيراه لأول مرة.
رفض أيضاً أن يذهب بالعربةِ وأستقل حصانه ليذهب لهناك.
أنحنى أمامه كل من رأه لتقديم التحية، وسمع الجميع يهتف باسمه، فابتسم وحرك رأسه لتحيتهم،
رأى ضحكات الفتيات المكتومةُ وخجلهن حينما بادلهن الابتسامة،
شعرَ الحبُ فى أعينِ الجميعَ، فاطمن أنه يسير على النهج الصحيح،
وصل إلى القريةِ التى تقعُ خلف المملكةَ ناحيةَ الجنوب، ليجدها كجنةٍ مُثمرةٍ بجميع المحاصيل، أشجارها مزدهرةٌ ونضرة، بُيوتهم مصنوعةً من الخوص، لإكتمال المظهر الجمالى الرائع.
وجد جموعاً غفيرةً من الشعب فى الساحات تنعى زعيمهم،
فقد علم من قائد جيوشه أن هذا الزعيم كان بمثابة الملك أو الحاكم لجميع القرى الزراعيةَ نحو الجنوب، فقد بدأ بتجميع الشعوب المتأذيةِ من خراب الحروب التى خلفتها مملكتهم قديماً، منذ تولى ألبرت العرش وبدأ بتعمير الصحراء ناحيةَ الجنوبِ لتُصبحَ هى الأن القرى الرائدةُ فى الزراعة.
وصلَ إلى الساحةِ التى تجمعَ فيها الشعب، ووقف من بعيد ليتأملهم؛
رأى دموعاً صادقةً نابعةً من القلب؛
علم أن هذا الزعيم لم يكن مجرد حاكم، بل كان بمثابة أبٍ أو ولى

أمرٍ للشعب؛
وجد الأطفالَ تبكى بحرارةٍ وكأنهم فقدوا عزيزاً، ودموع الأطفال دائماً صادقة؛
تمنى أن يكون مثله، ويحزن شعبه عليه بصدقٍ عند وفاته،
تمنى لو يتذكره أحدٌ عند رحيله من العالم، ويترحم عليه،
ألتفتت الجموع ناظرين إليه بعد سماع صهيل حصانه،
شعر بالحرج لأنه أصبح موضع نظرٍ وأهتمامِ الحضور،
نزل من فرسه، وعزاهم، وقدم نفسه قائلاً:أنا ريمون ملك مملكةِ الشمال،
همس الجميعُ فيما بينهم، لعلمهم أن ألبرت ملك مملكةِ الشمال وزوجته هما السبب فى تشريدهم قديماً، بسبب الحروب التى أفتعلوها لتوسيع وتقويةِ مملكتهم، ولكن لن يتجرأُ أحدٌ على التحدث خوفاً منه.
قطع همهماتهم صوتٌ أنثوى، لن يعرف مصدره قائلاً بثقةٍ: وأنت جاى دلوقتى ليه؟.
نظر ريمون حوله ليعرف مصدر الصوت ولكنه عجز لشدةِ الزحام.
فرد: جاى عشان أعزيكم و. . . .
قاطعه الصوت مرةً أخري قائلاً بإعتلاء: تعزينا ولا تملك علينا؟.
دقق نظره مرةً أخرى ليجدها، ولكنه لن يفعل،
فطلب منها أن تخرج من بين الزحام وتتوجه إليه ليقدر على

محادثتها ويرد على اسألتها.
فخرجت الفتاة من بين الجموع لتقف فى الوسط.
كانت فتاةٌ عشرينية، ذات قوامٍ ممشوق، ترتدى فُستانٌ أسود فخمٍ لا يتناسب مع بساطةِ القريةِ التى تسكنها، شعرُها معقودٌ ومُغطى، ووجها مُغطى بوشاحٍ أسودٍ قاتم، فلم يتثنى له رؤية ملامحها، ولاهى أيضاً رأته كظلٍ يقفُ أمامها؛
رأى فيها هيبةُ الملكاتِ وعظمتهن؛
عرفتَ نفسها بأنها ابنةُ الزعيم الراحل؛
فرفع تاجه أحتراماً لها وحياها؛
هزت رأسها لقبول التحية؛
ثم أعادت سؤالها مجدداً: جاى دلوقتى عشان تملك علينا مش كده؟.
ريمون: بتهيألى دا مش وقت الكلام دا،
أنا جاى دلوقتى بس عشان أعزيكم فى زعيمكم.
قالت بسخريةٍ: وبعد كده؟.
ريمون: نسيب الشعب هو اللى يختار.
ظهرت نبرةُ التحدى فى صوتها قائلةً: خليك واثق أن لو حكمك هو الأختيار الوحيد للشعب هنا، فتأكد أننا مش هنختاره.
قال بنبرةٍ حانيةٍ ليظهر سلامةُ نيته: مشكلتكم مش معايا أنا، مليش ذنب فى اللى حصل زمان، والحروب اللى كانت زمان أنا

مش مسؤل عنها، بس يمكن دلوقتى عندى فرصة أصلح اللى حصل قبل كده.
ردت: ما بنى على باطل فهو باطل وهيفضل باطل؛ وأنتم مملكتكم أتبنت بالدم، وأحنا ميشرفناش نكون جزء منها.
أستعجبَ قوتها أمامه، فطالما رأى نظرات الإعجاب فى أعين كل من رأته،
والأن يرى نظرات الخوف فى كل المحطين
ألاها، حتى لو منعه وشاحها من رؤية عينيها، فقد شعر بهما كعينى نسرٌ يقفُ بشجاعةٍ لا يهاب أحداً.
أعادَ ما قاله قبلاً: يمكن تكون دى فرصة لتصحيح الأخطاء.
ردت بكبرياء: الأخطاء مبتتصححش، والماضى مبيتنسيش، بنفضل عايشين حاضرنا ومستقبلنا كله بنفكر فى اللى حصل زمان،
أحنا نتاج أخطأنا، ومينفعش نصلح الغلط بتجاهل النتايج.
ريمون: كلامك مش صحيح، وبلاش تنشرى أفكارك لمجرد تهيج الشعب.
ظهرت ابتسامة فى صوتها قائلةً: لو كلامى مكنش صح مكنتش هتشوف نظرات الخوف من الشعب قدامك لمجرد أنك أبن ألبرت وإيزابيل، اللى شردوهم وحرقوا ممالكهم عشان بس يفرضوا سلطتهم؛
لو كلامى مكانش صح مكنتش هتسمع الكلام دا منى، عشان

غلطتك أنك ابنهم، أنت نفسك بتدفع فى الحاضر ثمن ماضى ملكش ذنب فيه.
ثم نظرت الى الشعب قائلةً بصوتٍ مرتفع: وأنا مبفرضش رأى على حد، زى ما والدى علمنى دايماً، إن أراده الشعب ومصلحته هى الأهم، وأنكم بس اللى ليكم حق الأختيار.
لم يكف الشعب عن تذكر ما خلفه ألبرت وإيزابيل من خراب و حرائق، فلم يأمن الشعب يوماٍ لولىِ عهدهم، فقد رضع كأسَ الشر والخيانة من ثدى إيزابيل.
فأنضم الشعبُ ليقفوا خلفها فى صفوفٍ هاتفين بأسمها
- أوچينا . . . أوچينا - فرفعت وشاحها لتنظر له بتحدى ليجدها ؛ صاحبةُ السمو.

****

مرت دقائق دون أن يمر الوقت وهى تنظر فى عينيه
وهو يحتضن عينياها، فكَمْ أفتقدها بعد لقاءُهما الأخير، الذى مر عليه عدة أشهر لم يعلم عددها لأن الزمان يطول فى الغياب،
تحجر الرمل فى ساعته الرمليه أثرَ الإنتظار،
رأها يوماً كظلٍ يتراقصُ أعلى الجبل كالملاك الهارب،
ورأها يوماً بينَ الزهور ليدعوها صانعةُ العطر،
ورأها تخرجُ من النهر كحوريةٍ،
قبلها ليجدها كجنيةٍ تهرب ولا تعود، ليتذوق مرارة فقدانها بعد حلاوة قُبلتها،
ليراها اليوم بكامل بهاءها، لتستحق بأن تكون صاحبةُ السمو،
فى كل مرةٍ جمعتهما الصدف، لا تجدُ ما يقال، ولكنها اليوم تقف أمامه ولا تكف عن التحدث.
لسانها يلدغ كالحية، وروحها وديعةً كالحمامة؛
شفاهها لاذعةً ككرباجٍ، بينما لها مذاق التوت؛
نظرَ فى عينيها ليمتلأ من نظرتها؛
ود لو قبلها اشتياقاً وعقاباً، ولكن منعته هيبة الحضور،
فابتسم فى حنانٍ وألتفَ موالياً ظهره لها، ثم ركب حصانه ورحل.
رحل ولكنه ترك عقله مُنشغلٌ بها طول الطريق؛

نظر إلى القريةِ ليكتشفها من جديد، ليبحث عن روحها فى المكان؛ ليبحث عن عينها فى خضرةِ الزروع، وعن قلبها فى صفاء السماء، وتحررها فى حركة الطيور؛
عاد لقصره باسماً، رغم أن الجولة لم تحسم لصالحه؛
وإن خسر جولة فما زالت الحرب قائمةً؛
وجد قائد الجيوش فى انتظاره ليطلعَ منه علي الإنطباع الذى أخذه عن شعب القبائل، والإنطباع الذى تركه لديهم
وأن كانت زيارته مجديةً؛
أخبره ريمون بما حدث من رفض الشعب له بقيادة ابنه زعيمهم؛ وأنهم لن يتناسوا ما حدث قبلاً من خرابٍ وتشريدٍ بسبب والديه، مما يزيد من صعوبةِ فكرة ضمهم تحت حكم المملكة.
أنهى المقابلة واعداً إياه بإعادة المحاولةَ والتحدث مع الشعب وتلك الفتاة من جديد. .
تلك الفتاة!! تلك الفتاة!! التى علم أسمها توا من أفواه الشعب الهاتف باسمها،
تلك الفتاة التى تغمسه فى لغز متاهتها كلما رأها،
تلك الفتاة التى تخطف النعاس من عينه لتجعله يخفق خلفها دون أن يجدها؛ ليجدها حينما يكف عن البحث عنها؛
تِلكَ الفتاة المتميزة، ابنةُ الزعيم، ملكة جنة الزهور؛ صانعةُ العطر الفريدة كالسوسن؛

تلك الفتاةُ أورچينا، صاحبة السمو؛
أفاق من شروده فى التفكير بها على صوت ميكال تستنكره لتناسى موعدهما.
كان قد أتفق معها أمس بعد إلحاحٍ منها أن يصطحبحها فى جوله بفرسه.
ميكال: هو أنت دايماً بتنسانى كده؟.
تطلع فيها ليجدها ترتدى فستان زهرىٌ طويلٌ منفوش، ذا فتحةِ صدرٍ واسعةٌ، وحذاءٌ فضىٌ ذو كعبٍ مرتفع، وشعرها معقود.
ريمون: بس اللى أنت لابساه دا مينفعش يتركب بيه خيل، كان المفروض تلبسى حاجة أرق من كده عشان متقيدش حركتك، ومكنش لازم تلبسى حاجة كعبها عالى، ولو سيبتى شعرك على طبيعته كان هيبقى أحلى كتير عشان تحسى بطيرانه مع الهواء.
نظرت ميكال لما ترتديه قائلةً بإعتراضٍ: أولاً لبسى حلو، وعاجبنى، ثانياً، مكنش ينفع أسيب شعرى عشان الهواء ميبوظهوش.
ابتسم ريمون وهز رأسه دون أن يجادلها، فأقتناع مرةً -بوجهةِ رأي رجلٍ من علامات اليوم الأخير-؛
-فالنساء دائماً على حق، حتى ولو أجبروك أن تأكل من الشجرة التى ستخرجك من الجنة-.
أمسك ريمون يدها وأصطحبها حيث يوجد خيله.
صهلَ الحصانُ وتحرك بقوةٍ وكأنه يرفضها،

وضع ريمون يده على ظهر الحصان برفق ليطمأنه وهمس فى أذنه الى أن هدأ،

فحصان ريمون الأبيض هو صديقه الأخر بعد القمر، وأعتاد أن يطلعه على ما يخبئه فى قلبه، وأعلمه قبلاً أنه لا يشعر شئ تجاه ميكال، ولا يوجد ما يجمعهما.

كان النهار قد مال، والشمسُ بدأت فى إعلان الرحيل،

فركبا الفرس، لتجلس خلفه عاقدةً يداها حول صدره، انطلق بها نحو الجبل لتشاهد الغروب من أعلاه؛

شعر برأسها المستندة على ظهره، ولكنه لم يشعر بقلبها الملاصق لجسده، لم تأخذه لمستها للخيال، لم يشعر بالربيع بين يديها، لم يخطفه حضنها للنصف الأخر من الدنيا، لم يشعر بحرارة نبضاته فى قبضتها؛

وصلا إلى الجبل ونزل من الحصان؛

ثم مد يده ليساعدها على النزول. . وضعت يدها فى يده ونزلت، تذكر حينما حمل بين يداه الجنية التى تجسدت فى هيئه فتاةٍ لتغمسه فى سحرها، لتحفر بصمتها عشقاً فى قلبه وتبنى بكلامها قبراً لعشقه ولكنه لن يموت.

تطلع فى الشمس وهى تلملم خيوط أشعتها لتختفى ويتبدل أثارها البرتقالى بالزرقةِ الكاتمة الواصلة حد السواد.

جلس على العُشب لتجلس ميكال بجانبه قائلةً: عارف مبحبش

أشوف الغروب.
نظر لها بإستنكارٍ قائلاً: حد ميحبش يشوف المنظر الرائع دا.
تابعت قائلةً: الغروب يعنى رحيل، والرحيل مؤلم،
الشمس لما بتمشى بيحل محلها الليل، والليل ضلمة وأنا مبحبش الضلمة.
رد ريمون قائلاً: الشمس مش هى اللى بتمشى على فكر، الشمس ثابته والأرض هى اللى بتلف من أول اليوم عشان تقابل الشمس فى الشروق وتودعها فى الغروب و تقابل الليل،
بصى حواليكى هتلاقى القمر والنجوم مالين السماء ومدينها طعم تانى.
ميكال: طعم الضلمة؟.
ريمون: طعم اللمعة، طعم الهيبة اللى تخليكى لما تبصى لنجمة تتوهى فى اللى بعدها،
طعم المتع، وأنتِ شايفة القمر بدر قدامك، هاله نور معمولة عشان تخطف عينيك فى وسط الضلمة وتخليك تركزى فيها هى وبس.
ميكال: بس برضو الشمس والنهار أحسن.
مد يده ليقطف واحدةً من العشب المفروش حولهما قائلاً: تفتكرى إيه الأحسن، العشب اللى فى أيدى ولا اللى لسه فى الأرض.
نظرت ميكال فى تعجب قائلةً: ماهما الأثنين واحد إيه الفرق

يعنى.
أبتسم قائلاً: أينعم هما واحد بس الفرق أن دى طايلها بأيدى ولامسها بصوابعى، ودى بالنسبالى زى القمر والنجوم، بعرف أفتح عينى فيهم من غير ما عنيا تزغلل، لكن الشمس زى العشب اللى لسه فى الأرض موجوده بس مبطولهاش؛
ليها هيبة تخلى محدش يقدر يفتح عينه فيها؛
وفى الأخر الأثنين بالنسبالى واحد، الشمس بتشق رحم العتمة وتشرق، والقمر بيستناها فى شروقها عشان يأخد ضيه منها؛
وهى دى المعادلة الصعبة زى الحب.
قالت بإندهاشٍ: زى الحب، أزاى يعنى؟.
رد ريمون قائلاً: بصى هى يمكن فكرة مجنونة شوية
بس تخيلى معايا أن القمر بيحب الشمس وبيسهر طول الليل يستناها وأول ماتيجى فى الشروق يادوب يطل عليها ويستخبى ويفضل طول النهار يأخد من ضيها عشان فى العتمة ينور بيها هى وكأنها بتسكنه، بيلمع بتفاصيلها وبيفتكر طلتها اللى زى الشمس؛
صمتت ميكال لتتخيل ما تسمعه ثم قالت: يبقى القمر هو اللى غلطان عشان وقع فى حب حاجة وهو عارف أنه مستحيل يوصلها؛
تنهد ريمون قائلاً: وهو دا عشق الروح، أحنا مش بأيدنا نختار

اللى نحبهم، بس كفاية أننا نفضل نحب حتى لو عارفين أن حبنا مستحيل؛

العشق يا ميكال أكبر من كونه جسدين يكونوا مع بعض؛

العشق هو أرتباط روحين حتى لو الجسدين مستحيل يكونوا مع بعض؛

العشق هو المعادلة الصعبة بين الشمس والقمر؛

هى بتديلهُ من روحها عشان ينور بضيها، وهو منور بيها ومستحيل يقربلها؛

بيجمعهم عشق الروح رغم بُعد المسافات والحدود والقوانين اللى بتحكم الطبيعة؛

نظرت إليه ميكال بعينٍ لامعةٍ لتُبدى إعجابها بما قال.

ابتسم فى صمتٍ مُتذكراً مُصيبته بالوقوع فى عشقِ روحٍ لا يعلم أين سترسو بقلبه.

****

لا يعلم لماذا يأخذه الليل لذكراها؛
لماذا تضيفُ فى سماءه نجمةٌ باسمها؛
كيف تجمعُ فى طلتها بين الشمسَ والقمرَ؛
عيناها حارةٌ كالنهار، ورطبةٌ كالفجرِ؛
تلدغهُ بأشعتها ليستظل بنسيمها؛
لها هيبةُ الشمسِ التى تجعله يضعُ يديه على عينه ليراها،
ولها بهاءُ القمرِ فى لمعته، ليفتح عينه دون أى حواجزٍ ويتأملها؛
لتخلق من روحها ظاهرةً جديدةً صعبةُ الوصفِ؛
ظل يتقلبُ على فراشه وقد جفاه النُعاسُ فقرر أن يكتسح الطُرقاتِ ساعياً إليها؛
ركب حصانه ليسمع أصداءَ حوافره فى الطرقات؛
لا يعلمُ أين يجدُها، وأىُ طريقٍ سيجمعه بها، ولكنه سار خلف قلبه الذى قاده لقريتها؛
كانت الشوارع خاليةً والنُعاسُ راود الجميع، فالليلُ قد وصل لمنتصفه؛
تنفسَ بعمقٍ فحتى الهواءَ فى قريتها مُختلفٌ، فيه إمتزاجٌ من رائحةِ تراب القريةِ وزروعها والندى المُتساقطُ فى أرجائها؛
تجول فى الطرقاتِ دون أن يعلم مقصده؛

فهى مقصده؛ ولو لم يعلم لطريقها خريطة، ولكن قلبه كان بمثابةِ بوصلةٍ ودليلٌ للوصل إليها؛
إلى أن سمع إحدهن تُغنى بشجنٍ وهدوء؛
كلماتٌ تطرأُ على أُذنيه لأول مرةٍ؛
-لماذا الرحيل؟
ياقلبُ لن يرحل أبداً
لماذا الرحيل؟
خلفتَ فى قلبى وجعاً
أيا من غِبتَ ولكن مازالت
قريب من نفسى جداً
ساشتاقُ حباً
واشتاقُ حضناً
واشتاقُ قلباً
يُخبئنى بين ذراعيه فأضحك
يُداعبنى كطفلةٍ لن تكبر
ويجرى خلفى كأبٍ حنون
ليشعر قلبى بكل سكون
وإن طلبت نجمة فى ذات مرة
وضع تحت قدمى جميع النجوم
لماذا الرحيل يا قلبٌ غاب؟

أيا من صِرتَ أقرب بعد الذهاب.
كان صوتها دافئ حنون، لمس دمعها بين السطور،
شعر بنحيب قلبها فى الغناء،
عرف إنها هى، فاقتربَ ليجدها تجلس على السُلم الخشبى الموجود أمام منزلها،
كان المنزل مبنى من الخوص ككل منازل القرية، ولكنه كان أكبرهم، يعلوعن الأرض بضعةُ أمتارٍ، يتوسط بابه سلمٌ خشبى، وحول المنزل حديقةٌ من الزهورِ والنباتاتِ مُسيجةٌ بسياجٍ من الخوص أيضاً.
أقتربَ ليتأملها، كانت كزهرةٍ ذابلة، وكأنها أفتقدت جبروتها صباحاً، كزهرةِ عبادِ الشمس، غابت شمسها فذبلت.
سمعها تنحب بهدوء؛
تأثر لرؤيتها هكذا، فطالما أعتادَ أن يرى عظمتها؛
فهتف باسمها لأول مرةٍ: أوچينا.
ألتفتتَ إليه.
شعر بمذاقِ اسمها المميزُ بين شفتيه؛ كعطرها؛ كقُبلتها؛ ككل ما فيها.
خطى تجاهها ليجلس بجانبها، نظرَ فى عينيها، ليُبحرَ فى حزنها، فسقط دمعةً كاللؤلؤةٍ، وشقت خدها، مد يده ليمسحها،
لم يتمالك نفسه أمام دمعها فضمها لأحضانه؛

كانت كالملاك بين يديه، كقطةٍ هادئةٍ سكنتَ بين يديه،
مرر يده ليمسح على شعرها، رفعت عينيها لتنظر إليه،
قال برقةٍ: متخلقش الحزن ليكِ، أنتِ أقوى من الدموع.
قالت بصوتٍ متهدج: الحزن مكتوب زى الموت، حقيقة لازم نعيشها.
قال: الموتُ راحة، لكن الحزن هو اللى موت.
ابتسمت فسطع القمر ببريقٍ لامعٍ كضيها؛
تحركتَ لتتحررَ من صدره، فهم واقفاً وأمسكَ يدها ليرغمها على الوقوف،
كان يعلوها بدرجةٍ، فتطلع فيها كطفلةٍ تائهةٍ لا تعلم ماذا عليها أن تفعل سوى الصمود، فضغط على يدها ليُطمأنها أنها ليست بفردها.
أتجه بها نحو باب منزلها ودخل ليجدهُ كقلعةٍ حربيةٍ مليئةٍ بالسيوفِ والسهام، وأنواعٍ مُختلفةٍ من الخناجر، وبعض الأدوات الحربيةِ المختلفة.
فإندهشَ مما رأى، فداخل المنزل لا يتناسب مع خارجه،
لاحظت أوچينا إندهاشه فقالت: والدى كان قائد جيوش زمان قبل الخراب والحرب اللى حصلت فى الممالك المجاورة، وأغلب سكان القرية كانوا من الجيوش المنهزمة من مختلف الممالك اللى نجوا وهربوا؛

والدى محبش يعيش فى صراع، ولا إن الشعب يفضل ناقم على الحكم المستبد، جمع كل الناجين عشان يبدوا حياة جديدة بعيد عن الحرب والموت والدم؛

بس دايماً كان خايف من أى غدر ممكن يحصلنا، عشان كده فضل مُحتفظ بالأسلحة دى لغاية دلوقتى.

نظر بإعجابٍ لما فعله والدها قائلاً: عشان كده استحق يكون الزعيم؛ تابع، طب ووالدتك؟.

قالت بألمٍ: والدى قابلها النهاردة.

شعر الأنٍ بوحدتها وحزنها، تفهم خوفها من حياة تجبرها أن تواجهها بمفردها؛

ولكنها ليست بمفردها، فهو بجانبها، وسيظل كما وعدها توا فى داخله؛

تطلع ليبحث عن غرفتها فأشارت له عن مكانها؛

فخطى نحوها، ومازالت يده تحتضن يديها؛

فتح باب الغرفه ليجدها مُبهجةٌل مليئةٌ بالألوان كالتى تسكنها؛

يتوسطها سرير من العاج، وفى إحدى جوانبها مقعدٌ من الخيرزان، وفى الجانب الأخر مرآة كبيرةً بطول الجدار،

نظر لقوارير العطرِ المرصوصةِ بعنايةٍ فى خزانتها وتحرك ليتفحصها؛

كانت لكل قارورةٍ شكلٌ مميزٌ عن الأخرى، ليعبرعن ماهية

عطرها، وكأن لكل منها شخصيةٍ مختلفة؛
فتح العطور ليشمها ويتعرف على روائحها؛
إلى أن داعب أنفه عطرها، فعلم أنها قارورة السوسن؛
فطلب أن يأخذها ليتمكن من تنفس عطرها وقتما يشاء؛ ولكنها رفضت أن تعطيها له لأنها تخصها؛
ولكن عرضت عليه أن يساعدها فى تصنيع قارورة أخرى وتعطيها إليه.
أعجب بالفكرة ووافق مُبتسماً.
فسحبته من يده لتخرج من باب المنزل وتدخل به غرفةٌ خلفيةٌ مليئةٌ بالزهورِ المجهزة لإعدادِ العطور.
أعتذرت منه لتُبدل ثيابها بأخرى أنسب للعمل، وتابعها تدخل فى مكانٍ ما، وأسدلت ستائره،
ميز زهرة السوسن من بين الزهور الموضوعة على المنضدة الكبيرة التى هى بطول الغرفة، فأخذ زهورها ليعتزلها عن الأخرين؛
سمع صوتها من خلف الستار، تطلب منه أن يفصل الزهرة عن الساق فبدأ يفعل مثلما طلبت؛
إلى أن طلت بفُستانها الأخضر القصير، ليصل لمنتصف فخذها، وبدون أكمامٍ لتسهل حركته يديها وعارى بعض الشئ ليكشف عن بريق نهدها؛
عقصت إحدى الأزهار البيضاء ذات الساق الطويل لتعقد

شعرها، فنقاءُ الأبيضُ زادَ من لمعةِ سلاسلها الذهبية؛
ألتفتَ إليها وانحنى فى إعجاب؛
رأها كأجمل مخلوقاتِ الأرض، لا تقارن بشئٍ أبدا، لا بصفاءِ السماءِ ولا روعةِ البحر، لا بجمال الطبيعةِ ولا بغموضِ ما ورائها، لا بسطوع الشمس ولا ببريق القمر؛
عجزَعن وصفها، فهى لا مد ولا جذر، ولكنها أغرقته فى بحورها؛
لا برق ولا رعد، ولكنه حلق فى سماءها؛
لا خضراء ولا صحراء، ولكنه سكن أجوائها؛
هى الكون الذى تجسد فى امرأةٍ ليجمع ظواهره فيها؛
هى العاليةُ، -صاحبةُ السمو- التى تجبر قلبه على الإنحناء كلما رأها؛
ترك ما بيده وخطى نحوها، وضع يده على خصرها وأمسك يدها بالأخرى وضمها الى صدره مُغلقاً عينه ليختلى بروحها فى رقصةٍ لا تشبه الراقصين من قبل؛
أغلقت عينيها لتلحق بعالمه؛
كانت خطواتهم مُتناسقةٌ رغم أنها رقصتهم الأولى فتناغم الأرواح لا يحتاج لدراسة؛
شعر بحرارةِ جسدها بين يديه كقطرةِ ندى، أغدقت عليها الشمس بأشعتها؛
حاول تقبليها ولكنها أبتعدت حينما شعرت بلمسةِ شفتيه؛

لتبدأ عملها فى فصل الزهرةِ عن الساق، ثم أشعلت النار تحت أناءٍ كبيرٍ مملوءٌ بالماء لتضع الزهور بإناءٍ أخر به فتحاتٌ فوق الماء بعد وصولها حد الغليان، لتذبل الزهور بعض الشئ، ثم تبدأ فى عصرها بيداها لإستخلاص الزيت منها، وقف يراقبها ليتعلم ما تفعله، ثم بدأ يُساعدها

إلى أن ظهرت أولى قطراتُ الزيت بعد ساعات من العصر؛

ضحكت بفرحةٍ لشعورها بنجاحهم بعد مجهود، ليذوب فى ضحكتها من جديد؛

ثم تتابع بعدها سقوط القطرات، لتجمعهم فى قارورةٍ ذهبيةٍ دائريةٍ صغيرة، ذات عُنقٍ طويلة، وأهدته إياها؛

حاول دفع ثمنها ولكنها رفضت؛

قائلةً: مش كل حاجة ليها ثمن، ومش كل حاجة بنعرف نشتريها.

ريمون: بس دى أكيد غالية.

ابتسمت قائلةً: غالية بس عشان عجبتك، وعرفت قيمتها؛ عشان حسيت بمجهود تعبها، تخيل بقى أنك تشتغل سنين وتزرع زهورها وتراعيها كل يوم وتشوفها وهى بتكبرقدام عينك كل يوم، لغاية لما الزهرة تفتح ويجى أوان قطفها، والمجهود اللى بيتعمل عشان بس تطلع الكام نقطة دول.

ريمون: عندك حق، ثم أخذ يتأمل القارورة بين يديه.

تابعت قائلةً: تفتكر لو حد شافها عندك وعجبته هتسبهاله

بسهولة.
رد بثقةٍ: لا طبعا، يمكن لو مكنتش عرفت قيمتها كنت فرطت فيها، لكن دلوقتى مش ممكن؛
تغيرتَ تعبيراتِ وجهها لتُظهر حازمةً وقالت: وهو دا بالظبط موقفنا ناحية أرضنا، إستحالة نفرط فيها أبداً، لأننا عارفين قيمتها كويس، وكل فرد من الشعب هنا عنده إستعداد يموت قبل ما حد غريب يحاول يدوسها، أقتربت من وجهه، وأكملت وخصوصاً لو الشخص دا كان أنت؛
ثم فتحت بابها لتقف فى منتصف الساحة أمام المنزل لتجمع الشعب وتخبرهم أن مافشل فيه الملك صباحا أتى ليلاً ليفعله؛
ثم ألقت إحدى سهامها ليمر بالقرب من جانبه، قائلةً إن بإمكانها إرسال جثمانه الأن لوالديه؛
ولكنها ستفعل ذلك أن خطى أرضهم مرةً أخرى؛
-هتف الشعب ضده-
فجأته بما فعلت فكيف تغيرت هكذا؛
فابتسمت ساخرةً وقالت بصوتٍ خافت سمعه جيداً؛
كل شئٍ مباحٌ في الحربِ والحب.

****

عاد لقصره فى منتصف النهار ممسكاً بيده قارورة العطر متذكراً ما فعلته؛
ثم فكر في جملتها الأخيرة؛
-إن كل شئٍ مباحٌ فى الحبِ والحربِ-
فكيف لمساوة الحب والحرب وجمعهم فى جملة واحدة؛
هل لأن الحب حرباً قلبياً؟.
أم لأننا نلعن الحرب من أجل الحب؟.
حرفٌ واحدٌ توسط الكلمةَ، ليجعلها من حياة بالحب إلى موتٌ بالحرب؛
هل معناها أن نهاية العشق موت؟.
أم معنى العشقُ هو الموتُ عن الكل ماعداه؟.
ما عساهُ أن يكون وجهُ الشبهِ بين الحب والحرب؛
هل لأن كلاهما بدأ بثورة؟.
فالقلبُ ثأرٌ بالحبِ ليعلن عشقه؛
والحرب ثورةُ عشقٍ تسعى للتغير؛
فى الحربِ نسعى لتحقيق المبادئ التى نشأت فى أفكارنا؛
وبالحب نتخطاها، فمن أجل عشقك تتخلى عن الكثير من أسلحتك الدفاعية لتظل فقط مع من تحب؛

فى الحرب تسعى أن تكون الأقوى لتكسب حربك؛
وفى الحب تخور قواك؛ لتظهر ضعف عيناك أمام من تحب؛
فى الحرب نسعى لأرهاب الطرف الأخر.
فى الحب عليك أحتضان الأخر ليكمل فيك؛
فى الحب حربك هى أن تكون مع من تحب؛
سهامك تكمن فى نظراته؛
استسلامك يعلن بلمسته، لتذوب أرضكما وتصير واحدة؛
تختفى الحدود؛ لتجد قلبك فى جسده؛ وتتنفس أنت بعشقه،
ولكًنه اليوم وجد الحرب ليست كما ظن معناها؛
فالحربُ فى أرضها حلال؛
والغرقُ فى قلبها حياة؛
فالحربُ معها ممتعةٌ، تجعل النوم يُجافيه يفكر فى خطته العشقية لأجلها؛
لتحتمى فيه من بطشه؛
وقلبها خوذةٌ خلاصة؛
وروحها درعٌ يحميه؛
وجد فى حربها أرضه وأسلحته واستسلامه؛
فتنهد قائلاً:
وجدتُ روحى فى حربك
وجدتُ فى حربك حياة

أيا من شردتنى بحربها لتحتوينى فى قلاعها
أيا من أسرتنى فى عشقها لتجعلنى سلطانُ قلبها
أيا من تخطت حدودى العشقية لترفع أعلامَ نصرها فى قلبى
يامن حولتِ بحربك روحى الخاربة إلى مدينةٍ فاضلةٍ
ستظلُ حربُنا قائمةً إلى الأبد يا صاحبةُ السمو
وسأظل أتلذذُ بالدفاع عن قلبى فيكِ

ليصتدم بإيزابيل التى تظهر على وجهها علامات الغضب قائلةً: مين البنت اللى اتجرأت ووقفت قصادك وازاى موقفتهاش عند حدها.

أجاب ريمون بحده: الموضوع دا يخصنى أنا، وأنا اللى هتصرف فيه.

ليجد ألبرت يعتلى عرشه قائلاً: كان يخصك لو مكنتش أنت اللى شايل أسم المملكة، لكن واضح إنها مسؤلية كبيرة عليك وإنك مش قدها، أنت مينفعش تكون ملك.

قال ريمون بعصبيةٍ: مش معنى أن طريقتى مختلفة عنك أنك تحكم عليَ بالفشل.

رفعت إيزابيل صوتها لتقول: أنت فعلا فاشل، ضيعت أسم وسمعة المملكة اللى عشنا أنا وأبوك سنين نبنى فيها.

أضاف ألبرت: لما بنت زى دى تقف قصاد الملك، وسيطها يلمع والشعب كله يتكلم عن اللى هى عملته حتى فى الممالك اللى

حوالينا يبقى أنت فاشل، مستوى تجارتنا تراجع النهاردة بسبب اللى حصل، وأنا مش هستنى لما تحصل خسارة أكبر من كده.
ريمون: قصدك إيه.
ألبرت: أنا فهمتك قبل كده أن لو فى أى مشاكل حصلت فى المملكة هرجع لمكانى وأعزلك.
ريمون: بس دى مش لعبة ترميهالى وقت ما تحب وتأخدها منى وقت ما تحب.
إيزابيل: ماهو لو أنت مكنتش معتبر الموضوع لعبة مكنش دا حصل، أنت دلوقتى بتدفع ثمن تهاونك اللى فهمناك قبل كده إنه غلط، مفيش عين بتعلى على الحاجب، ولا حتى تتساوى بيها، ومفيش شعب بيثق فى أسياده مهما كانوا بيحبوه، الشعب أتخلق عشان يستعبد، عشان يفضل دايماً خايف، ويخاف يغلط عشان يفضل عايش.
سمع الشعب المتوافد حول القصر الهاتف بأسم ألبرت من جديد.
ضحك ريمون بسخريةٍ على مبدأ الشعب الهاتف لملكه أياً كان شخصه.
فابتسم ألبرت ببرودٍ قائلاً: مش قولتلك الشعب ميهموش من بيحكمه، المهم بس أنهم يتحكموا.
أجاب ريمون: لو مكانوش خايفين منك مكنوش رجعوا يهتفوا

باسمك تانى.
لترد إيزابيل: لو كنت علمتهم يخافوا منك مكانوش هيهتفوا باسم غيرك.
أتجه ريمون نحو غرفته بغيظٍ من الحكم والسلطة والنفوذ والخوف والشعب وأوچينا.
أوچينا التى جعلت شعبها يقف فى صفها فى كل مرةٍ، لتقف أمامه ليتخلى شعبه عنه فى أول أختبارٍ لإثبات ولائهم.
تطلع من شرفته ليجد ألبرت يعتذر للشعب عما بدر من طياشة ولده، واعداً شعبه بأن الدم سيكون جزاءُ كل من تطاول على مملكتهم.
وأمرقائد جيوشه أمام الشعب بأن يستعدوا للحرب على هذه القبائل والأستيلاء على أرضهم حتى يُلقن الجميع درساً لا ينسوه ويكونوا عبرةً لكل من يفكر لمجرد التفكير فى الوقوف أمام مملكتهم.
ليهتف الشعب باسمه من جديد.
طرق أحدُ الحراس بابه ليخبره بأن ميكال تنتظره فى منزلها وتريد رؤيته توا.
فخرج من إحدى الأبواب السرية للقصر فهو لا يريد أن يتطلع فى ذلك الشعب المنافق.
ذهبَ لقصر ميكال ليجدها فى انتظاره، كانت بقايا دمعات تكسو

وجهها، فقالت بصوت تغلبه نبرةُ البكاء: كنت عندها بتعمل إيه، هى دى بقى اللى أنت مشغول بيها، هى دى الجنة اللى أنت بتكون فيها؛

حاول أن يبرر موقفه ولكنها منعته من التحدث بخلع خاتمه لتضعه أمامه فى صمتٍ، تحركت نحو غرفتها.

خرج من قصرها ليصطدم بأبيها ليخبره أنه يريد إنهاء علاقته بميكال لأن ابنته لا تتزوج إلا من أحد الملوك ولا يشرفهم نسب ملك معزول.

فأخبره ريمون باسماً، أنها قد انهت العلاقة فعلاً وأختارت الإنفصال.

****

جلس ريمون على فراشه ليستعيد ما حدث فى اليومين السابقين؛
فعقله حتى الأن لا يستوعب ما حدث؛
ففى يومان عُزل وخسر منصبه، وخسر تأييد شعبه، وخسر ميكال؛
خسرنفسه من أجل لحظةِ جنون قادته إليها؛
ليبدأ من جديد وكأنها البداية؛
فجأته زيارة الطباخ الذى جاء ليخبره بأستيائه لما حدث وأنه فى خدمته، أن أحتاج لأى شئ؛
ابتسم بأطمئنان لصدق مشاعره؛
أنشغل ألبرت فى تجهيز الجيش أستعداداً لمهاجمة أراضى القبائل رداً على ما فعلوه؛
حاول ريمون التدخل لإقناع أبيه بالرجوع عن فكرة الحرب ولكنه فشل؛
عادت علاقة ألبرت وإيزابيلَ للأستقرار، فهى تقف بجانبه لتسانده فى قراراته، وكأن علاقتهم مرتبطةٌ بالسلطة والمنصب؛
ود ريمون أن يذهب إليها ليحزرها من أمر الحرب ولكنه لا يقدر أن يخطو أرضها؛
فأرسل إلى الطباخ، ليخبره أنه يحتاجه فى أن يذهب لأرضهم، ويخبر ابنة زعيمهم بأمرِ الحرب دون أن يخبرها أنه من أرسله؛
فعل الرجل مثلما طلب؛

أستعدت أوچينا بشعبها للدفاع عن أرضهم، ومدت الشعب بالأسلحة التى كانت بحوزتها؛
إلى أن جاء الطباخ مرةً أخرى ليخبرها أن مملكة الشمال ستبدأ غداً بالهجوم.
شكرته وأعطته إحدى أوسمةِ أبيها هديةً لما قدمه من مساعدة.
عاد الطباخ إلى ريمون ليخبره بما حدث وأعطاه الوسام الذى أهدته إياه.
أقنع ريمون قائد الجيوش بأن يضمه خفية وسط الجيش دون أن يخبرألبرت، فالجميعُ سيرتدى نفس الزى، ورأسه ستُغطى بالخوذةِ، فلا يمكن لأحدٍ أن يتعرف عليه؛
كان عليه حمايتها حتى لو كلفه الأمرُ أن ينضم للحرب ويخسر حياته.
أما أوچينا فقد جمعت الشعب لتخبرهم بأمر الهجوم فى الغد؛
وألقت عليهم خُطبةً حماسية لتبث فيهم الشجاعة مُذكرةٌ إياهم بأن الدفاع عن الأرض هو شرفُ الحياة؛
وأن كان الموت هو الخيارالوحيد أمامهم، فليموتوا بشموخٍ دون أن تنكس رآيتهم.
كانت من أصعب الليالى التى مرت عليهم فوقوع الحرب خيرٌ من ترقبها.

****

سمع صوت الخيول المتجه نحوهم مع أول شعاع للشمس فألتزموا أماكنهم كما وضعت أوچينا الخطه

دخل ألبرت بجيشه وهاجموا البيوت ولكن وجدوها فارغةً، فأرتبكتَ العساكر وعادوا ليخبروا قائدهم أن لا أحد فى المنازل؛ ففاجأهم جيش أوچينا المختبئُ بين الزروع من الخلف مرتدين زى الحرب ومسلحين، كما أنهم على أستعداً أيضاً،

اطلق رجال أوچينا السهام على جيش ألبرت من الخلف، فأسقطوا عدداً منهم ألتفَ الجيش ليواجههم؛

كانت الشمس قد وصلت حد سطوعها؛ فعمدت أشعتها عليهم مما أضعف لقايتهم؛

فأنقد جيش أوچينا عليهم لتبدأ المعركة؛

دارت المعركة بين الشد والجذب بين الطرفين، وسقط الكثيرمن القتلى فى الطرفين؛

كانت أصوات تضارب السيوف مُخيفةً ولكن شعب القبائل وقفَ صامداً للحفاظ على أرضه؛

يعلموا جيداً أنهم لو خسروا المعركه سيحرقهم ألبرت مثلما فعل قبلاً.

أما ريمون فأنشغل بالبحث عنها فلديه تأكيد أنها وسط الجيش.

ظل يبحث عليها بين صفوفهم، إلى أن قابلها كانت ترتدى مثل باقى الجيش والخوذه تغطى رأسها، ولكن عينها دليلة فطالما أغرقته فى بحورها وطالما أنقذته بفنارتها؛

أتجه إليها ليشغل أى شخص من جيشه للأقتراب منها وأستل سيفه ليبارزها؛

كانت ضربتها قويةً وكأنها أرادت أن توجه رسالةً مع كل ضربة؛

وكأن الحرب تخصها وحدها؛

كان ريمون موقف المدافع رغم هجومها الشديد؛

وكيف يهجم على روحٍ هائمةً روحه فى عشقها؛

وكأنه يحفظ روحه بالحفاظ عليها؛

ظلت المعركةُ قائمةً يومين، إلى أن أرسلت إيزابيل للممالك المجاوره بإمدادهم بالجيوش لمساندتهم فى الحرب كما فعلوا معهم قبلاً؛

فحسمت المعركه لصالح جيش ألبرت بعد وصول المدد؛

شعر ريمون بالخطر فأمسك يدها ليهرب بها؛

حاولت أوچينا التخلص منه ولكنه أحكم قبضته عليها؛ فجرحت يده ليتركها ولكنه لن يتخلى عنها؛

لمح أحدٌ من جيش ألبرت هروبها فاطلق سهمه نحوها لتسقط مغشيٌ عليها، فحملها ريمون ليختفى بها نحو الزروع.

****

دخل بها ريمون لغرفته من أحد الأبواب السريةَ للقصر دون أن يراه أحد.

رفع خوذتها وخلع عنها زى الحرب التى كانت ترتديه، وألبسها إحدى حلله واستدعى الطبيب، الذى أمره بمعالجتها دون أن يخبر أحد بوجودها، وعاهده ألا يُفشى سرها.

ضمد الطبيب جرحها وطمأنه أن الجرح سطحى، ولكن ستزيد حرارتها بعض الشئ فيجب رعايتها.

وعالج الطبيب يده ولف جرحه، ثم خرج من القصر دون أن يراه أحد.

ظلت أوچينا تتأوه ألماً، وظل بجانبها ليمرضها،

إلى أن فتحتَ عينها بإعياءٍ لتجدها فى غرفةٍ واسعةٍ، جدرانها بيضاء لم تتذكر أنها دخلتها من قبل، حاولت التحرك ولكنها وجدت يد مُمسكةً بيدها، فتطلعت لتجده جانبها مُغمضُ العينين، وآثار التعب على وجهه،

سحبت يدها من يده، ففتح عينيه نتيجةً لحركتها،

كانت باهتةً فناولها الدواءُ كما أوصاه الطبيب.

تطلعت أوچينا لتجد الجرح فى يده، فتذكرت الجندى الذى هرب بها من المعركةَ، فعلمت أنه هو.

فقالت فى إعياءٍ: خسرنا الحرب مش كده؟. طب والشعب مصيره إيه.
لم يجد ريمون إجابة فما يهمه أنها بخير.
فتابعت ومسبتنيش أموت معاهم ليهز
قال بلهفةٍ: بعد الشرعليكِ.
أوچينا: شر؟، الموت فى المعركه شرف، مش شر، الشر هو أنى أكون هنا وسطكم.
ريمون: أنا كنت خايف عليكِ، شاركت فى الحرب معاهم عشان أحميك منهم وأحافظ عليكِ.
صمتت للحظةٍ ثم أكملت: وجايبنى هنا ليه، مش عشان تعدمونى قدام الشعب كلهو وأكون عبرة لأى حد يتطاول على الملك.
ريمون: لا طبعاً، عشان أحميكِ منهم، هنا أأمن مكان، محدش يقدر يتوقع أنك تكونى موجودة فيه.
أوچينا: أنا لازم أمشى من هنا، حاولت التحرك ولكن الإصابةَ منعتها، وشعرت بعدم توازن فسقطت على الفراش مرةً أخرى.
فأمسك بيدها قائلاً: أهدى شوية، وخلينا نفكرالأول هنتصرف أزاى؛
وأنتِ مش هتقدرى تتحركى قبل يومين على الأقل.
سكنت أوچينا لمعرفةِ أنه على صواب.

تحرك ريمون مُتجهاً للشرفة ليُناجى القمر كما أعتادَ؛
أما هى أغمضتَ عينيها من شدةِ الإعياء وغاصت فى النوم.

****

فى اليوم التالى كانت المملكةُ تحتفلُ بالنصرِ وتحقيق أهدافها فى الاستيلاء على الأراضى الزراعية جهة الجنوب، لتنضم لمساحة المملكة.
يحتفلون بمكسب صفقةٍ لم يعقدوها ولم تكن فى الحسبان،
استقبل الشعبُ الجيشَ بالهتافِ والزهور، وموسيقى الأنتصار تهز أرجاء المملكة؛
أفاقت أوچينا على هذه الأصوات، فوقفت فى الشرفة تتابع الموقف.
لم يكن ريمون بغرفته ولم تهتم بمكانه،
سمعت ألبرت يلقى خطاب النصر، ويهنئ الشعب ويشكر الجيش لصموده.
تقدمت إيزابيلَ وسط الجموع بخريطةِ المملكة ليزود الرسام عليها الأرضَ الجديدةَ المنضمةُ لمملكتهم.
بدأ الرسام فى عمله وسط هتاف الشعب وتصفيقهم.
ولكن تفاجئ الجميع بفتاةٍ غريبةٍ تتجه نحو الرسام وتمزق الخريطة.
أعترض الحضور، ولكنها قالت بثقةٍ: الأرض دى كانت الأول مروية بعرقنا، ودلوقتى أتروت بدماءنا، فأستحالة تكون ملككم فى يوم

من الأيام.
نظرت لها إيزابيلَ بذهولٍ لتسألها من تكون.
فعرفتهم بنفسها فى كبرياءٍ بأنها ابنةُ زعيم هذه الأراضى؛ -أوچينا؛ صاحبةُ السمو-
فابتسمتَ إيزابيلَ بسخريةٍ على صاحبةِ السمو.
أشار ألبرت للحراس بقطع رأسها الأن أمام الشعب.
ولكن إيزابيلَ أردعته، ففضلت أن تأسر وتُذل أولاً قبل إنهاءِ مصيرها.
فأطاع الحراس إيزابيل وكبلوها بالسلاسل وجروها لداخل القصر.
كان ريمون قد أتى توا حاملاً زهورها وبعضاً من ثمار أرضها، ليطمئنها بأنه سيدافع عن حقها، ولكنه أسقط ما فى يده حينما رأها تجر بالسلاسل، فعلم أن مصيرها قد حكم ومن الصعب تغييره.
داخل القصر كان الجميع مُنشغلٌ، فألبرت مُنشغلٌ بأمرِ النصر والأحتفال، وإيزابيل مُنشغلةٌ بأمر أوچينا، وكيف يمكن ازلالها، وريمون مُنشغلٌ بكيفية خلاصها.
أما أوچينا فانتظرت مصيرها فى هدوء.
حاول ريمون الوصول إليها، ولكن الحراس منعوه بأمرٍ من الملك.

****

تفننت إيزابيل فى أشكال ذُلها، واليوم قررت أن تُهديها لزوجها، بعد أن علمت أنها مازالت عذراء، ولم يقم أحدٌ بلمسها قبلاً.
أرسلت الجوارى لتعطريها وتجهيزها لليلةِ الملك.
تمنعت أوچينا فأرسلت إيزابيل الحراس ليضربوها بالعصى، ويمزقوا ثيابها لتنصاع للأمر.
فإما أن تقبل بليلةِ الملك، وأما أن تترك للحراس يفعلوا بها كما يشأون.
هاج ريمون على أمه عندما علم ما تنويه، ولكنها هددته بالنفى خارج البلاد أن تدخل فى شئونها.
حل المساء ليدخل ألبرت غرفته ولكنه يندهش لمطلب إيزابيل بالدخول لغرفته فى الجناح الغربى، لأنها تُهديه ليلةً مع عذراء، وطالما أشتاق لذلك الشعور.
قبلها ألبرت قبل أن يرحل ويتجه لجناحه الغربى،
ليفتح الباب ويجدها؛
-أوچينا- كالبدر فى ليله تماماً، كانت بفستانها الأحمر الطويل، عارى الصدر، شعرها الذهبى مُصففٌ بعنايةٍ، وعيناها مرسومةٍ بحرفة لتُظهر لونها الأخضر،
كانت اللمسات التجميلية التى أضُيفت لوجهها جعلتها كملاكٍ

من السماء.
نظر إليها ألبرت بلمعةِ إعجابٍ وأقترب منها وحاول لمسها.
فأبتعدت مُسرعةً.
حاول الأقتراب مرةً أُخرى، ولكنها تحركت أيضاً.
زفر فى ضيقٍ ثم أمسكها بقوةٍ، ومرر يده على وجهها، ليجدها ناعمةً كطفلةٍ ولدت الأن.
تلمس برائتها فى نظرتها التى تحاول ألا تظهر خوفها،
أشتهى شفتيها كتُفاحٍ نضج فى أوان قطفه؛
أغلق عينيه ليستطعم قُبلتها الممزوجةَ بعطرها، ولكنه شعر بشئٍ ينخذه فى صدره، فتح عينيه ليجد خنجرها فى صدره.
قائلةً: لو قربت منى هموتك.
ابتسم ببرود ليُربكها؛
ثم لف يدها وضغط عليها بقوةٍ إلى أن فقدت أعصابها وأفلتت الخنجر من يدها؛
فنظرت إليه بضعفٍ، مترجيةً ألا يمسها؛
جلس على الفراش قائلاً: انتِ عارفة أنى ممكن أقتلك دلوقتى.
قالت فى حماس: ياريت، أنا برجوك تعمل كده.
ألبرت: يعنى مش خايفة من الموت.
أوچينا: أنا مش خايفة من الموت، أنا خايفة من الحياة.
قال ألبرت بإندهاش: وإيه اللى يخوف فى الحياة.
ردت أوچينا: البشر، السلطه ، الأنتقام، الخوف، المستقبل، كل

حاجة فى الحياة تخوف، الحياة هى سجن من الخوف.
ألبرت: طب والموت؟.
أوچينا: الموت رحمة، هو اللى بيحرر من الخوف.
قام ألبرت من مجلسه وأتجه نحو الخنجر الملقى فى الأرض قائلاً:
وأنا هرحمك،
ثم أمسكه وفتح يدها وأعطاها إياه مُبتسماً،
ثم خرج من الغرفة دون أن يمسها.
كان ريمون مُنتظراً خارجاً فدخل إليها عندما شاهد خروج أبيه؛
كانت أوچينا تجلس على الأرض مضمومةَ القدمين تخبئ وجهها بين يديها وتبكى؛
جلس ريمون بجانبها ليشعر بنبضات قلبها مع كل دمعةٍ،
لا يعلم كيف يسألها عما حدث؛
ثم أقنع عقله أن ماحدث لا يهم، فليس لها يدٌ فيه، أو كان لديها حق الأختيار؛
فقط ما يهمه أنها بجانبه الأن، لف يده حولها ليضمها إلى صدره، كان قلبه مفتورٌ لأجلها، ولكنها تطلعت إليه فقد شعرت أحساس لمسته، وهزت رأسها لتطمئنه قائلةً: محصلش حاجه.
تنهد وأحتضنها بقوةٍ، ثم مرر يده ليفك عقدة شعرها فتنسدل خصيلاتها الذهبيةَ خلف ظهرها.
قائلاً: أتعودت عليه متحرر زيك.

****

فى اليوم التالى كانت إيزابيل حانقةٌ على أوچينا،
فقد أبلغها ألبرت كذباً أنه لم يمسها أمس بسبب تعذرها بعادةِ النساء.
بعد أسبوعٍ كان لقاء ألبرت بأوچينا أيضاً، فلم تيأس إيزابيل من محاولاتها فى أزلالها.
لم تكف أوچينا عن مراودته فكرة خلال الأسبوع الماضى،
كملاكٌ هائمٌ تطوفُ حوله ليتذكربرائتها، طهرها   الذى طالما أشتاقه.
كان ينتظر ميعاد لقائها فقط ليراها،
عاد الملل لعلاقته بإيزابيل، فلم يعد يتحمل سلطتها وطمعها،
دخل ألبرت غرفة أوچينا ليجدها فى الشرفة تتراقص على سور الشرفة، كمهرةٍ تتراقص برشاقةٍ فى ضوء القمر.
فوقف يتابع حركاتها كفراشةٍ تخطو بجناحيها فوق سياجٍ
خطفت قلبه فى كل خطوة.
كادت أن تسقط أثناء دورانها، فحملها ألبرت بين ذراعيه لتسقط فى أحضانه؛
نظر إليها ليتأملها عن قربٍ، كانت نقيةً كنهار سماءٍ صافية،
كموجة نهرٍ لطيفة بفستانها اللبنى، تطلع فى وجهها ليشبع من

نور برائتها الذى لم يراه يوماً فى إيزابيل،
ملامحها الملائكي الذى لم يراه من قبل.
شعرت بالخجل لنظراته التفحصية وتحركت لتنزل من بين يديه؛
شعرألبرت بشبابه فيها؛
مد يده ليحل ربطة فستانها من الخلف ولكنها نظرت فى عينيه لتذكره بوعده لها؛
وبرغم إعجابه الشديد بها، إلا أنه حافظ على وعده لها.
ظل على عادته يقضى ليله جوارها دون أن يمسها؛
ولكنه اليوم لم يتمالك شهوته أمامها، وحاول أن يقطف ما حرمته عليه؛
دخل لغرفتها و أعتلى جسدها مرر يده عليه ولكنها قاومته بقوتها الضعيفة، ودموعها وشهقاتها،
إلى أن أبتعد عنها فى ضيقٍ، كانت على يقين أنها تملكت قلبه وسحرته بجمالها، وكأنه وجد فيها ضالته، لأنها على النقيض التام بكل من حوله، وخاصةً إيزابيل؛
فاستخدمت دلالها ضده لتُملى شروطها؛
لو أرادها فعليه أن يُعلنها زوجةً لجلالته، أما أن يتركها تعدم كما أرادت إيزابيل.
دخل ريمون لغرفتها ليعلن انسحابه من حياتها، لأنها خدعته باسم الحب، وهي فقط كغيرها أرادت النفوذ والسلطة.

****

لم تكن تدري أنه حقا سيرحل ولكنه أجابها بقدرته على الهجران. أما هي فكانت كل ليلةٍ تمسك ريشتها لتكتب مشاعرها في دفترٍ أيقتنت دسه حتى لا يتطلع إليه أحد.

حينما رحلت . . .
لم أكن أقصد أن تتركنى؛ لم أعلم يومها أن لك جبروت الهجر والغياب . .
لم أتوقع أبدا يومها أن ترحل من قلبى عمداً، لتترك ذكراك محفورةً بداخله، كمعبدٍ يحفظ مراسم لقائك وتخور قواه، ليسقط ساجداً لرهبةَ رحيلك، ويصنع بخوره من حنين ذكراك.
حينما رحلت ظل قلبى ينبض باسمك كأجراس الكنائس لدعوة الخطاه، ليذكرنى بخطيئتى عندما أحببتك، وجريمتى التى لا تُغفر عندما تركتك ترحل، تمسكت كثيراً بقلبك، بعشقك، بروحك التى تسكن داخلى، ولكن حينها لم تهتم سوى بأن ترحل. . ورحلت.
حينما رحلت بكيتُ يومها مراً، نعستُ ألماً بقلبٍ متهدجٌ، وصدرٌ خالٍ من وجودك، وحلمٌ أنت فارسه أيضاً،
لتزيدنى ألماً يا صاحب الأحلام.
حينما رحلت حاولت أن أتماسك وأنت تنتزع يداك من يدى، بل

قلبى من جسدى، فقط لأظهر بكبرياء، ولكنى لم أقدر، لم تشفع لى دموعى الخائنة التى سقطت لأجل أستسماحك، ولم تشفع لى ذكرياتى التى أبدعت فى أن أجعلك تبتسم كلما راودتك، ولم تشفع لى روحى الغائبةُ فى حضورك، ورحلت.

رحلت لتتركنى ألعنُ رحيلك فى كل صباحٍ، أشتاق لحضنك فأبكى فقدانك، أضمُ يداى لأحتضن بقايا قلبى المهدوم، بغيابك فأشتم آثار عبيرك فى صدرى، فابتسم أملاً،

أيها الراحل الموجود؛

أيها الغائب الحاضر؛

أيها الساكن فى قلبى رغم هجرانك؛

أيها التارك بصماتك فى كل ابتسامةٍ من شفتاى؛

أنت رحلت ولكنك تركتنى أرحل ورائك فى كل ذكرى وكل لحظةٍ وكل حلم؛

لتجعل من رحيلك فى قلبى مأساةٌ وتشغل عقلى بهوس غيابك؛

وتقطر ذكراك بقلمى فى كل حروفه؛

هل تعلم معنى الغُربةَ التى تقطنى؛

الغُربةُ يا عزيزى ليست هجرانك للوطن؛

الوحدة ليست بوجودك منفردٌ؛

الغُربةُ الحقيقة: هى أغترابى فيك، أن أشتاق رؤيتك، وعندما أراك يكون سلامنا كأغراب . . حتى الأغراب لهم فرصةُ الأقتراب ولكننا

خسرناها؛
الغُربةُ أن أكون على مسافةٍ منك ولا تشملنى أحضانك؛
الغُربةُ هى أن يكون لدى حديثٌ، أو أمرٌ هامٌ أريد أن أخبرك إياه ولم أقدر؛
الغُربةُ أن أرتدى لونك المفضل ولا ترانى به؛
الغُربةُ أن أسير فى إحدى الطرقات التى جمعتنا أبحث عنك ولا أجدك؛
الغُربةُ أن أشتاقك حينما أرى المطر وأفتح يدى لأجمع قطراته وادعوا الله أن يحفظك؛
الوحدةُ يا عزيزى أن لا أجدك، ألا تكون بجانبى حتى وأن كان الكون بأكمله بصحبتى؛
الوحدوُ أن أغلق عيناى لأتذكرك، واراك صورةٌ مجردٌ فى مخيلتى؛
عزيزى يا ذلك الوجود الذى أقتحمنى، وجودى فيك . . ووطنى قلبك . . وأرضى أحضانك. .
وفي ليلةٍ أخرى كتبت
عزيزى الشخص الوحيد الذى أفتقده
لا أدرى لماذا كل ذلك الحنين، واتمنى أن تكون بخير؛
ولكنى دائما أتسألُ لماذا؟
لماذا تخليت عنى؟

لماذا رحلت؟
لماذا لم أشبعُ منك يوماً؟
لماذا أتعطشك دائماً؟
لماذا تسكن حياتى بأدق تفاصيلها؟
هل تعلم أنك منذ رحليك وأنت لم ترحل؛
لماذا رحلت وتركت روحك بداخلى؟
نويت مراراً وتكراراً أن أنساك، ولكنى فشلت؛
فشلت فى ان احيا معك وفشلت فى ان احيا بدونك
وفشلت فى أن أحيا بعدك؛
لماذا أنت الحياةُ، طالما كنت تُسببَ لى وجعاً،

كثيراً ما اعتزم على انتفاضك من عقلى، واعكف عن التفكير بك؛
ولكنى أجدك محفورٌ فى كل ركن منى؛
فى يدى آثار أصابعك المتشابكة بها؛
وعلى كفى أجدُ ما كنت تكتبه فيها؛
فى صدرى أجدك تغمرنى؛
واتنسمُ عبيرك فى شعرى، ولمسة يدك حين تبعد الشعر الثائرَلترى
عيناى التى تسكنها أنت؛
حتى شفتاى أجد فيهم بسمتى التى تطل فقط بذكراك؛
لسانى لا يكف عن اسمك؛

وقلبى لم ينبض إلا لك؛
أعلم أن بيننا المسافات، والحدود التى لا قدره لى على تخطيها؛
ولكن خيالى يرفضها؛
يرفض العيش بدونك؛
لم يكن هناك ما اخفيه عنك أبداً، لأنك تسكن وجودى،
ولكن فى غيابك زادت اكتشافاتى؛
فاكتشفت أنى اعيشك؛
اتمنى النجاح لأجلك؛
اكتشفت أن قوتى كانت لأنك أنت حمايتى؛
كانت قوتى فيك؛
أصبحت مُهشمةٌ بدونك، ولكنى احفاظ فى المحاولة على الظهور صلبة؛
أصبحت معدمةٌ يا عزيزى فطالما كانت أهليتى فيك؛
أدركت ما بيننا أكبر من كونه حبٌ أو عشقٌ
إنه وجودٌ؛
وجودى فيك وبدونك أنا . . . . . .
لا أجد ما أصف حالى به بدونك؛
ولكنى لا أقدرُ على المقاومة أكثر من ذلك؛
لماذا ندع القدر يصنعنا؟
الأقدارُ تأخذ أجملَ ما فينا، وتتركنا نتجرع وجع الفقدان؛

أشتقت وجودك ياعزيزى؛
أشتقت صوتك؛
أشتقتك، وأشتقت روحى الساكنةُ فيك؛
منذ رحيلك وأنت باقٍ، كل شئٍ رحلَ إلاك.

****

كان الأمرُ صعبٌ على ألبرت، ولكنه انصاعَ لطلبها أخيراً، وخاصةً لأن رغبته فيها تزدادُ كل يومٍ عن الأخر،
أمرَ الحُراسَ بحراستها، وشدد الحراسةَ عليها حتى لا تصل يد إيزابيل لها بعدما أعلنَ أن اليوم ستؤدى مراسم زواجهم.
شعر ريمون بالحنقِ على أبيه الذى أغتصب جميع أحلامه حتى حلمه بها، حققه والده.
أما إيزابيل فكانت كاللبؤه المجروحة، تذكرت كَمْ فعلت من أجل ألبرت، بدايةً من زواجها برجلٍ يكبرها بعشرينَ سنة، لتقتله ويجلس ألبرت على عرش المملكة، وحتى اليوم وهى تحافظ على حكمه وسلطته؛
ليبيعها ويتزوج من أخرى، مجرد سبيه كان مصيرها الموت،
ندمت اليوم على ما فعلته، من تأجيل أمر إعدامها؛
فكانت تنوى إذلال الحية بقطع ذيلها، ولكن كانت الحية أدهى، فالتفتت حولها لتلدغها فى قلبها، وتسرق منها زوجها ومكانتها.
بدأت مراسم الزواج الملكى؛ بنزول ألبرت من على درج القصر مُمسكاً بيدهِ أوچينا العروس، التى ظهرت كلوحةٍ فنيةٍ مرسومةً بيد فنانٍ ماهر.
كان فُستانها أبيضٌ ناصعٌ، طويلٌ ذا ذيلٍ يُجرَ خلفها؛ ضُيِقَ ليُبرز

مفاتنها، وكان شعرها مُصففٌ وتضعُ تاجٌ كبيرٌ فوقَ رأسها.
حبست إيزابيلَ نفسها فى غُرفتها.
أما ريمون فحضر الحفل ليُشاهدَ المهزلةَ التى يفعلها أبيه وخيانةَ من أحب.
بعد انتهاء المراسم؛ أعلن ألبرت و أوچينا زوجاً وزوجة.
بدأت الرقصة والتى وجب عليهم أن يرقصوها، ولكن ريمون أعتذرَ من أبيه ليرقص معها.
كانت ميكال بين الحضور، جاءت فقط لتتشفى فى ريمون، وتراه وهو ينازع طنعة الحبِ مثلما فعل بها.
بدأت الموسيقى بإعلان بدأ الرقص، فأنحنى ريمون طالباً أوچينا للرقص، فهى الأن زوجة أبيه.
مد يده ليحتضن يدها، ويضع الأخرى حول خصرها وبدأوا الرقص؛ كانت الدموع تملأُ عينيه، ولكنه عاهدها ألا تخونه وتسقط أمامها؛ أبتسمتَ أوچينا قائلةً: مش هتقولى مبروك.
نظر فى عينيها مُعاتباً ثم هز رأسه قائلاً: مبروك.
أوچينا: مالك؟، شكلك مش مبسوط.
قال بألمٍ: بدوق الموت ومش طايله، كان عندك حق لما قولتى الحياة تخوف.
تمايلت على الموسيقى لترجع مرةً أخرى لأحضانه ليشعر بسخونة نفسها؛

فخطف قُبلةً من شفتيها؛
ثم مد يده ليحررعقدة شعرها قائلاً: أعتده متحرراً كقُبلتك،
ثم ترك يدها وأنحنى ليتركها تصارعُ أفكارها؛
ثم ذهب للشرفة ليجد الجبل أمامه، فيتذكرَ ملاكه الساقط ويبتسمُ بألمٍ؛ ليجد ميكال تقف جواره قائلةً بتحدى: بتوجع مش كده؟.
ريمون: قصدك إيه.
ميكال: أنت فاهم قصدى كويس، بتوجع لما تحب حد وهو ميحبكش؛
الدنيا دى غريبة أوى؛ وكأن الكل لازم يدوق من نفس الكأس اللى صبه بأيده؛ زيك كده،
مفيش جارح مبقاش مجروح، بس على الأقل أنت أستمتعت بكل لحظة معاها، حتى فى وداعها.
ريمون: . . . . حاول التحدث ولكنها قاطعته.
قائلةً: مش مستنية منك كلام، انا جايه بس عشان أتفرج على صاحبة السمو وهى قاعدة على عرش صاحب الجلالة.
ثم خطت مواليةً ظهرها، وأتجهت لخارج القصر.
انتهى الحفلُ ليذهب الجميع ويُغلقَ بابُ القصر.

****

بعد منتصف الليل شعَرريمون بأحدٍ يفتحُ بابَ غرفته،
كان يجلِسُ فى شُرفته، فألتفَ ليراها، -أوچينا-.
اتجها نحوها بلهفةٍ ليطمئن عليها، أمسك وجهها بكفيه ليطلع فى عينيها؛
فوجدها تبتسم براحةٍ يشعرها لأولِ مرةً.
كانت لاتزالُ بفستانها، لم يفهم، ما الذي أتي بها الأن إليه، ولكنه أحبَ وجودها.
خلعت تاجها لتنفض شعرها فيتتطايرأمامه، اتجهت نحو خزانته لتجد قارورةَ عطرها، ففتحتها وتعطرت بها، ثم رأت وسامَ أبيها التى أعطته للرجل الذى أخبرها بأمرِ الحرب، فعلمت أن ريمون من أرسله؛
فمدت يدها لتحل ربطةَ فُستانها من الخلف ليسقط عنها،
وتظهر أمامه مفاتنها كلؤلؤةٍ نادرةٍ، كنجمةٍ لامعةٍ لا يجد لها وصفٌ.
أمسكت يده، ضغطت عليها بشدةٍ فأحتضنها، ليقعا سوياً على الفراش؛
واعتلى جسدها ليتذوق عبثاً من ثمارها؛
ليجد أنه صاحبُ اللمسةِ الأولى لها، وأن أبيه رغم سهره فى

غرفتها كل ليلةٍ، إلا أنه لم يقدر علي لمسها؛
فعاد ليعتليها من جديد؛
كانت شهيةً كطعمَ الشجرةِ المحرمةُ فى الجنة؛
بعد أن فرغوا، خرجت من غرفته دون أن تنبث بحرفٍ.

-فى اليوم التالى-
صباحُ يومٍ جديد، يومُ الخلاص.
استيقظت المملكةُ على صوت المُنادين ليخبروا الشعب بوفاةَ ألبرت، ونفى ريمون، وعلى الجميعُ التوجه نحو الساحةِ بأمرٍ من أوچينا صاحبةُ السمو.
أجتمعَ الشعبُ فى الساحةِ وفقاً لأمرِ الملكة.
كانت أوچينا تجلس على عرشها بفستانها الأرجوانى مرتديةً حُلتها وتاجها.
تخرج إيزابيلَ مُكبلةً بالسلاسلِ بين الجموع.
وقفت أوچينا أمام الشعب لتخبرهم بمقتلِ ألبرت أمس، وحكمها بنفى ريمون صباحاً؛ و لتقرأ مرسومها قائلةً
-اليومَ هو اليومُ الموعودُ لتحقيق العدل، العدلُ الذى مُنعنا من تذوقه بسبب استبدادِ السلطة، اليوم سيحل الحبُ محلَ السلطة، سيحكم الشعب نفسه باختياره، وسيختار الطريق الذى يسير فيه-.

خلعت تاجها لتُكمل قائلةً: ليس من حقِ أحدٍ أن يرتدى تاجاً، فالعقلُ والحكمةُ هما التاجُ الحقيقى الذى يحق لنا أن نتباهى بهما.
وكأنها بدايةُ العهدِ الجديد.
هتف الشعب باسمها، فلأول مرة يشعر الشعب بصدق حاكمه.
ثم أشارت لأحد الجنود ليُنفذَ حكمها.
فأستل سيفه قائلاً: سينفذ حكمُ الإعدام على إيزابيل بأمرٍ من الملكة أوچينا ابنةُ الملكةِ أليانا، وحفيدةُ الملك هيكتور، ملك مملكة الشمال.
نظرت إيزابيل لأوچينا لتصتدم بنظرات التحدى فى عينها.
خطت أوچينا تجاه إيزابيل فى شموخٍ، فاليومَ تنتقمُ لأمها.
تطلعت إيزابيل فيها لتجد ملامح أمها، وترتدى نفس حُلتها وفُستانُها الأرجوانى.
سألتها إيزابيل: كيف لها أن تكون ابنةَ أليانا، وقد أُعدمت عذراء.
فأخبرتها أوجينا: أنها ابنةُ أليانا من قائد الجيش، الذى عُين لحراستها أثناء سجنها فى غرفتها خلال الأربعة سنوات، دون أن يطل أحد عليها غيره.
كانت هى الطفلةُ التى شقت رهبةَ الصت أثناء أعدامها، وأخذها والدها، وهرب بها نحو الجنوب، وتزعم الهاربين والمُتأذيين من بطشهم تحت كنفه، وعملوا بالزراعةِ، ليعودوا من جديد لنشر

بطشهم ويحاربوهم من جديد، ولكن ظلمهم أنقلب عليهم،
فقد سَمَّت ألبرت أمس، ونفت ريمون صباحاً، والأن سيأتى دورها،
وأشارت للجندى فنفذ الحكم،
لتوليها أوچينا ظهرها، ويهتف الشعب باسم -صاحبةُ السمو-

****

على متن السفينة التى تحمل ريمون لتصله لمنفاه؛
جلسَ مُفكراً في عشقه؛
فمجنونٌ من ظن أن العشق حياة، فلدغةُ العشق تجعلنا نلتوى حتى الموت.
يطلق سهامه فى لحظةٍ ويتركنا نتذوقُ مرارة انتظار الإصابة.
نذوبُ عشقاً بإرادتنا، وبإرادتنا نشتاقُ لوعته،
العشقُ هو الوجهُ الوسيمُ للشقاء.
والوجعُ؛ هو الوجهُ القبيحُ للعشق.
العشقُ هو المتاهةُ التى ننجرف فى دوامتها ظانينَ
ابتسم بألمٍ حين تذكر طعمها في أحضانه.
شعر بشئٍ فى جيب سترته؛
ليجد قارورة العطر التى أهدته إياها ووسام أبيها،
وقطعةٌ جلديةٌ، ففتحها؛ ليقرأ ما كُتِبَ بها
-عزيزى ريمون
يا عشق الروح
تمنيتث الأن أن أكون بين ضلوعك
تصدو نبضاتى فى صدرك
تمنيت الأن أن أغلق عيناياى حتى أستمتع بوحدتنا
وكأننا نسبحُ فى قمرٍ لا يحمل سوانا

تمنيت أن تقطرنى عشقاً
وتحتوينى بذراعك لتضمنى إليك حتى أكمل فوارغك
تمنيت أن تدخلنى فى جسدك كضلعٍ يجبُ استرجاعه منذ خلقتى,
تمنيت أن أشعر بسخونةِ أنفاسك، و شهدُ عشقك.
أن أستمتع بلهو يدك وهى تعبث بخصلاتى.
أن أرى عينيك الامعة فى أحضانى.
تبتسمُ براحةٍ بعد حنين السنين
أتمناك توا، أن تحتضنى اختطافاً، لترجع بى لحياةٍ تُشبهنا.
أتمناك يا فؤادى أن تضع يدك على قلبى لتستمتع بنبضه الهاتف باسمك.
أتمنى أنا أجتمع بك ولا أختلع منك أبداً
فأنت الروح التى هامت روحى فى روحها.
عشقتك منذ اللحظةِ الأولى، دون حتى أن أعرف لكيانك مسمى.
لتكون كيانى وأكون أنا تحت مسماك
أعلمُ جيداً أن لا أعتذار يمكنه أن يُكفرعما فعلته بقلبك،
ولكن عليك أن تعلم أننى أحببتك جداً، كُلُّ ما فعلته معك لم أشعر بالندم عليه يوماً.
فأنت عشق الروح ، أنت الروح التى ذابت روحى فى عشقها، بحثتُ عنك قبل أن أجدك، وبلغتُ مُنايا عندما قابلتك، يومها لم ينعس القمر، فطالما حدثته عنك، أنت الفارسُ الذى تمنيتُ أن يخطفنى على حصانه لأجدك تفعل ذلك دون حتى أن أطلب.

ولكننا كما قلت قبلاً، نحن نتاجُ ماضينا، فتدفع أنت اليومَ ثمنَ ظلُم والديك بخيانتهم لأمى؛ وأدفعُ أنا ذنب ثقة أمى بحبهم، لأوجه سهمى نحوك، فأطعنك بحبى مرغمةً،

أعلم أنى ظالمةٌ، ولكن لا يمكن لأرضٍ أن تحملنا سوياً،

لذا نفيتك من أرضى، ولكنك ستظل موطنى؛

قصيتك من دنياي، لكنك ستظل كوني؛

ستظلُ الشمسُ التى تحيا كل صباحٍ لتحتضني بكل أشعتها،

وستظلُ القمرُ الذي يسهر ليلاً ليؤنسني؛

سأحيا بذكرى ليلةٍ قضيناها سوياً، لتبقى عُذريني فيك شاهدةً على جنون عشقي.

وصدفٌ أخرى جمعتنا.

سأظلُ مُخلصةٌ لعشقنا، وستظلُ رآياتُك فى قلبى، وسيظلُ عشقى محكومٌ بسلطانك.

ستظلُ بداخلى إلى الأبدِ، إلى أن ألقاكَ من جديدٍ فى حياةٍ أخرى تبعثنا بالخلود.

فأنت العشقُ الخالدُ فى قلبى حتى وأن فنى جسدى وتساوى بالتراب، ستظلُ روحى هائمةً بعشقك.

وستظلُ دائماً وأبداً

-صاحبُ الجلالة-

أوچينا

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

01020439639